# الكافكاوية في أدب عبده خال
## دراسة مقارنة

د/ أماني أحمد أبو الحسن (*)

**الملخص:**
تهدف الدراسة إلى إضاءة ملامح الأديب التشيكي فرانز كافكا في أدب الروائي السعودي عبده خال الذي تأثر به موضوعاتيا وبنائياً. في محاولة لإبراز تفاعل الأدب السعودي مع الآداب العالمية في إطار إعادة صياغة التجربة والخبرات الإنسانية في سياق ثقافي مختلف، مما يعزز الحوار الأدبي عبر الثقافات والأزمنة. جرى اختيار **عينة البحث** من المدونات السردية التي يظهر بها جانب التأثر بوضوح والتي تنوعت بين روايات ومجموعات قصصية وهي روايات (الموت يمر من هنا، الطين، فسوق، ترمي بشرر). واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للنصوص، مع استثمار أداوت المنهج الموضوعاتي لتحليل الموضوعات Thèmes مثل قهر السلطة، العزلة، العبث الوجودي. والحافز Motif الذي شكلها في أدب كافكا وهو صراع الأب والابن. وكان اختيارنا لهذا المنهج خاصة؛ نظراً لانفتاحه على منهجي (التحليل النفسي والدراسات المقارنة). جرى **تقسيم الدراسة** إلى مبحثين أولهما نظري والثاني تطبيقي. يركز المبحث الأول على عرض سوداوية كافكا التي صاغت مصطلح الأدب الكافكاوي أو الكفكاوية مع تعريفها وتحليل أهم سماتها، ثم التعريف بأثر كافكا على الأدب العالمي ثم العربي مع ابراز الجهود النقدية للعرب في دراسة كافكا، مستعرضين أهم الدراسات السابقة التي تم الاستفادة منها. كما يتضمن القسم النظري تعريفاً بالأديب عبده خال وأدبه مبرزاً جانب التأثر في أعماله السردية. أما المبحث التطبيقي فينصب على تحليل مجموعة من المدونات السردية التي برز فيها تأثر خال بكافكا موضوعاتياً مثل (العلاقة المتوترة مع الأب ، والقهر وتأثير السلطة، القلق الوجودي والانمساخ الإنساني) وبنائياً مثل ( المشهد الكابوسي والواقعية السحرية، وتشكيل الشخصيات الداخلي). يلي هذين المبحثين الخاتمة والنتائج.

(*)أستاذ مساعد في تخصص الأدب المقارن، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة.

aabualhassan@taibahu.edu.sa

**الكلمات المفتاحية:** الكافكاوية، عبده خال، التأثر والتأثير، فرانز كافكا، القلق الوجودي.

**Abstract:**

The study aims to shed light on the features of the Czech writer Franz Kafka in the works of the Saudi novelist Abdo Khal, who was thematically and structurally influenced by Kafka. It attempts to highlight the interaction of Saudi literature with world literature by reshaping human experiences and perspectives within a different cultural context, thereby enhancing literary dialogue across cultures and eras. The research sample was selected from narrative works that clearly show this influence, including novels and short story collections such as *(Death Passes Through Here*, *Mud*, *Immorality*, and *Throwing Sparks*.) The study adopts the descriptive-analytical approach to analyze texts, utilizing thematic analysis tools to explore themes such as oppression by authority, isolation, and existential absurdity. The *motif* that shaped these themes in Kafka's work, specifically the father-son conflict, was also examined. This methodology was chosen particularly because it is open to psychoanalytic and comparative literature approaches. The study is divided into two main sections: a theoretical part and an applied one. The first section focuses on Kafka's bleakness, which gave rise to the term "Kafkaesque" or "Kafkaism," defining and analyzing its key characteristics. It also discusses Kafka's influence on global and Arab literature, highlighting Arab critical efforts in studying Kafka, and reviews the main previous studies used in this research. Additionally, the theoretical section introduces Abdo Khal and his literature, highlighting the influence of Kafka in his narrative works. The applied section focuses on analyzing selected narrative works where Khal's thematic influence from Kafka is evident, such as (strained father-son relationships, oppression and authority's influence, existential anxiety, and human metamorphosis) and structurally, such as (the nightmarish scene, magical realism, and the internal development of characters). This is followed by the conclusion and results.

Keywords: alkafkawia, Abdo Khal, affect and influence, Franz Kafka, existential anxiety.

**تمهيد:**

تعد دراسة التأثر والتأثير بين الآداب المختلفة من أهم دراسات الأدب المقارن وأبحاثه التي تركز على علاقات التواصل والتفاعل بين الآداب القومية المختلفة. حيث التقت المدارس المختلفة في الأدب المقارن (الفرنسية والأمريكية) رغم اختلاف منهجها النقدي على جملة من القواسم المشتركة، وفي طليعتها ميادين البحث الرئيسة التي من أهمها مجال دراسة المؤثرات المتبادلة بين أدب وآخر، أو بين أديبين.

وقد ابتدأت الدراسات النقدية عبر المدرسة الفرنسية بداية ضيقة تقوم على بحث العلاقات التاريخية بين أدبين وتبيان مواضع التأثير والتأثر من خلال طريقة منهجية ترصد الأسباب وعوامل الاتصال وتعتمد رصد مواطن الالتقاء تاريخياً بين الأدبين. إلا أن هذه الدراسات لم تلبث أن توسعت دائرتها وتطورت، بعد أن دخلت إلى حقل الدراسات المقارنة الكثير من النظريات النقدية، مثل فكرة عالمية الأدب التي ظهرت منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر على يد الكاتب الألماني جوته، وتشير إلى تداخل الآداب العالمية دون أن تكون بينها صلات تاريخية، بسبب الانفتاح الثقافي والإبداعي. كذلك فكرة كلية الظاهرة الأدبية التي تبنتها المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن ودعت من خلالها إلى الغاء التمييز بين ما يسمى بالأدب المقارن والأدب العام داعية إلى دراسة تأثير الفنون الأخرى من رسم وتصوير على الأدب.(١) فالمدرسة المقارنة الأمريكية مثلاً تدرس أدبين أو أكثر على أساس من التساوي بينهما بعيدًا عن علاقة تأثير أدب سابق بأدب لاحق، مبينة نقاط الالتقاء الفني بينهما.

(١) راجع: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط٣، ٢٠٠٣م ص ٣١ ؛ عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق فصل " الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة"، دمشق، اتحاد الكتاب الأعرب، ١٩٩٩م، ص٢٣-٢٤ .

من ناحية أخرى، ظهر اتجاه عالمي حديث يسعى إلى توسيع مجال المقارنة عبر دراسة اللمسات المشتركة لعدة آداب سواء أكان بينهما تشابه قائم على التقاء تاريخي، أو كان فقط تواردا لأفكار المؤلفين، عملاً بمقولة أن الأدب عالمي، ولا بد أن نسعى لإيجاد هذا الأدب عبر دراسة مجموعة الآثار المتشابهة التي تحياها الآداب معاً، وما يتصل بذلك من دراسة أثر الترجمة، والأنواع الأدبية، والتيارات، والحركات، والموضوعات التي تشترك بين أدبين أو أكثر.(١)

أما عربياً، فقد ظهر اتجاه نقدي، يرى أن الأدب المقارن علم يبحث في العلاقات الاستقبالية، التي تقوم بين آداب قومية مختلفة. خاصة بعد ظهور نظرية التلقي الأدبي التي تهتم بتلقي الأدب القومي لآداب أخرى عبر الترجمة. ونظرية التناص التي تدرس تداخل النصوص الأدبية وتركز على متن النص وجماليته دون البحث في أسباب التداخل النصي. وغيرها من النظريات التي وسّعت أفق الأدب المقارن، وركزت على النص من داخله أكثر من تركيزها على العلاقات الخارجية له.(٢)

وعلى خلفية أن الأدب العربي قد تأثّر بكثير من الاتجاهات الأدبية الأجنبية، إما بطريق مباشر عبر التلقي من الآداب الأجنبية بلغتها الأصلية. أو بطريق غير مباشر عن طريق الترجمات الأدبية التي نشطت في الساحة العربية عبر دور النشر، والمجلات المتخصصة بالدراسات المترجمة منذ الستينات من القرن إلى العشرين(٣)؛ فقد ظهرت مجموعة من الدراسات التي انصب جهدها على دراسة

---

(١) ماريوس فرنسواغويار، الأدب المقارن، ترجمة: هنري زغيب، بيروت–باريس، منشورات عويدات، ط٢، ١٩٨٨م، ص٧.

(٢) عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق، مرجع سابق، ص٢٠٢؛ وللمؤلف نفسه كتاب هجرة النصوص– دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥م. يدور حول الدراسات الاستقبالية ونظرية تلقي الآداب المترجمة في الأدب العربي.

(٣) عبده عبود، هجرة النصوص– دراسات في الترجمة في الأدب العربي، مرجع سابق، ص٢٤.

المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي شعراً ونثراً (١). بعد اعتراف النقاد العرب أن الأدب القومي غالباً ما يتأثر في حركاته التجديدية بالآداب العالمية الأخرى.

ومن المعروف أن الأدب العربي قديماً وحديثاً قد تأثر بآداب الأمم المجاورة. فالباحث في تاريخ الأدب القديم يجد أن العرب استفادوا في أدبهم من أدب الأمم الأخرى. وترى سلمى الجويسي في كتابها Modern Arabic Fiction an anthology أن هذه ظاهرة طبيعية ترجع إلى أن التجارب الإنسانية تتشابه.(٢)

أما في العصر الحديث فقد تأثر الأدب العربي بالتيارات الأدبية العالمية كالكلاسيكية، الرمزية، الرومانسية وغيرها. ويؤكد سعد علوش أن ظهور التيارات الأجنبية في الأدب العربي "لا يعتبر مجرد استيراد لفكر غربي بل هو ظهور طبيعي لروح الكليات الإنسانية التي تبحث عن حوافزها الأدبية والأنطولوجية عبر الأجيال"(٣). ولا ينفرد النقاد العرب بهذا الرأي حيث يرى الباحث الروسي جيرومنوسكي" أن التيار الأدبي هو ظاهرة عالمية ترتبط بالتطور العالمي، وحركة تبادل الآداب".(٤)

ولا يشذ الأدب السعودي عن دائرة الأدب العربي في تلقيه من الآداب الأجنبية. وهذه الدراسة التي تتناول جانباً من المؤثرات الأجنبية في سرد الروائي السعودي

---

(١) نكتفي هنا بالاحالة إلى بعض تلك الدراسات لمن أراد الاستزادة في موضوع التأثير الأجنبي في الأدب العربي مثل دراسة حسام الخطيب، سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، دمشق، مطابع الإدارة السياسية، ط٥ ، ١٩٩١؛ محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية في الرواية العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٤م ؛ سعد آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٦ م ؛ الرشيد بوشعير، أثر بروتلد بريخت في مسرح الشرق العربي، دمشق، دار الأهالي، ١٩٩٦م.

(٢) Salma jayyusi, Modern Arabic Fiction an Anthology, Columbia University Press, New york, 1893, p2

(٣) سعد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٥، ص٩.

(٤) سعد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، مرجع السابق، ص ٥٧.

عبده خال، تتبنى مفهوماً يتفق مع تطور حقل الأدب المقارن. وهو مفهوم يرى في الأدب المقارن نوعاً من الدراسات الأدبية والنقدية يتجاوز بحوث التأثير والتأثر القائمة على معيار الالتقاء التاريخي بين أدبين، ويتفاعل مع المذاهب النقدية الحديثة والمعاصرة كالدراسات الاستقبالية ونظرية التلقي ونظرية التناص. حيث تلقّى الأدباء السعوديين الآداب الأجنبية المترجمة، من قصص قصيرة وروايات واتجاهات فنية، ثم أفرزت قراءتهم للإنتاج الأدبي والنقدي العالمي، تيارات أدبية وتقنيات أسلوبية متجددة تستلهم مختلف التوجهات الأدبية العالمية.

وقد انقسم التأثر في الأدب السعودي إلى قسمين أولهما: التأثر باتجاه أدبي عالمي فكرًا وأسلوبًا أو أسلوبا فقط دون النواحي الفكرية. ونضرب مثلا لذلك انتشار أفكار المذهب الوجودي في القصص القصيرة في مرحلة السبعينيات. والثاني: التأثر بأسلوب أديب معين ونلمح مثل هذا التأثر في أدب عبده خال صاحب التجربة السردية المتنوعة بين قصص قصيرة وروايات وأدب أطفال. فالمتلقي لأدبه يلمح أثر ثقافته الواسعة في قراءة الآداب العالمية التي شكلت رافداً ثقافياً مهماً لتجربته الأدبية. وتبدى ذلك في تأثره بالكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز (Gabriel García Márque) في اتجاهه الواقعي السحري، أو تأثره بالكاتب التشيكي فرانـز كافكا (Franz Kafka) في السوداوية القلقة والكابوسية التي تستثمر الأجواء المفزعة وتدمجها مع المشهد الواقعي بصورة تنهار معها الحدود الفاصلة بين الواقع والخيال. وهو مدار اهتمام هذه الدراسة.

**تهدف الدراسة،** إلى إضاءة ملامح الأديب التشيكي فرانز كافكا في أدب الروائي عبده خال. مبرزة تجاوز التعالق النصي[1] بين نصوص الروائيين مرحلة التأثير

---

[1] التعالق النصي: مصطلح نتج من نظريات جيرار جينيت في التناص ويقصد فيه المتعاليات النصية بين نص سابق ونص لاحق تختلف فيه مستويات التناص وتشمل علاقة المحاكاة أو التغيير حينما تعاد بنية النص السابق في النص اللاحق بشكل قائم على التغيير. وعلاقة التداخل التي تتداخل فيها الأجناس الأدبية من ناحية الموضوع والصيغة والشكل وهو ما يدعوه جينيت بـ ( جامع النص) ينظر: جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة للنشر، بغداد، د.ت، ص ٩٠-٩٤.

والتأثر؛ لتصطبغ تجربة عبده خال السردية على مستوى الموضوع والبنية الفنية بالنَفَس الكافكاوي. وذلك من خلال موضوعات (العبثية والتمرد على المجتمع الهرمي والسلطة). ممزوجين بالإحساس بالاختناق الذي يسلم الشخصيات الى الرغبة في الموت هرباً من العالم المادي. وقد التفت النقاد إلى تشابه عوالم الكاتبين إلا أنه لم تتصد دراسة -بحسب علمنا- لتلمّس أثر كافكا في عبده خال خاصة مع وجود عدة دراسات عن أثر الكاتب التشيكي في الأدب والرواية العربية عامة.

وكلمة "كافكاوي" صفة تستخدم لوصف المواقف أو التجارب السريالية والقمعية والكابوسية، والتي غالبًا ما تنطوي على بيروقراطيات معقدة، ورعب وجودي، وشعور بالعجز. اشتق المصطلح من أعمال فرانز كافكا، وخاصة قصصه مثل (المحاكمة والانمساخ). حيث تواجه الشخصيات الروائية سيناريوهات سخيفة وغير منطقية غالبًا، تجردهم من استقلاليتهم وفهمهم للعالم من حولهم. تستحضر السيناريوهات الكافكاوية مزيجًا من الخوف والارتباك والعبثية المظلمة. ويرى ساندر جيلمان إن مصطلح "كافكاوي" هو أكثر من مجرد نموذج أدبي.[١]

ونزعم وجود عدة أوجه لتأثر خال بكافكا. ولدراسة هذه الأوجه؛ جرى تقسيم الدراسة إلى مبحثين أولهما نظري والثاني تطبيقي. الأول: يضم ثلاثة محاور هي (كافكا وأدب العبث والسوداوية) الذي نسلط فيه الضوء على الكاتب فرانز كافكا وعالمه. يليه محور (الكافكاوية وتأثيرها بالأدب العالمي والعربي) نستعرض فيه مصطلح الكفكاوية وتأثيره في الأدب العالمي إجمالاً والرواية العربية خاصة، مع إبراز الجهود النقدية للعرب في دراسة كافكا. مبرزين ما تضيفه هذه الدراسة لتلك الجهود. يليها محور ثالث بعنوان (عالم عبده خال السردي والمؤثرات الأجنبية فيه) للتعريف بحياة الكاتب عبده خال وأدبه مع إبراز جانب التأثر في أعماله القصصية والروائية. وتلك المحاور النظرية تتضمن الدراسات السابقة، تمهيداً للدخول في المبحث الثاني التطبيقي الذي يحمل عنوان (ملامح كافكا في أدب

---

[1] See: Sander Gilman, *Franz Kafka: The Jewish Patient* (New York and London: Routledge, 1995), 1-3.

عبده خال) نعرض فيه لأدب عبد خال مبرزين نقاط الالتقاء بينه وبين كافكا مع دعم تحليلنا بالشواهد. وينقسم إلى محورين هي: (التأثر الموضوعاتي) يعرض تأثر خال على مستوى الموضوع ويتفرّع إلى عدة نقاط هي: العلاقة المتوترة مع الأب، ضغط السلطة وفقدان القيمة والعزلة والتشوش، المسخ والأسئلة الوجودية. يليه محور (التأثر البنائي) ويركز على تأثر خال بكافكا على مستوى البنية الروائية، ويتفرع بدوره إلى قسمين: الأول بعنوان الواقعية السحرية والمشهد الكابوسي في روايتي (الانمساخ) لكافكا و(الطين) لخال. والقسم الثاني بعنوان سيكولوجية الشخصية وعلاقتها بالمكان الرمز في رواية (القلعة) ومحاكاتها في رواية (ترمي بشرر). ثم يلي هذا المبحث، الخاتمة والنتائج.

ونظراً لتنوع جوانب التأثر واختلاف موضوعاتها جرى اختيار **عينة البحث** من المدونات السردية التي يظهر بها جانب التأثر بوضوح والتي تنوعت بين روايات ومجموعات قصصية والمدونات التي تم التركيز عليها تحليلاً هي روايات (الموت يمر من هنا، الطين، فسوق، ترمي بشرر) نظراً لجمعها بين جانبي التأثر الذي يهتم به البحث وهو المستوى الموضوعاتي –أو الثيمي– والمستوى البنائي. كما تم تحليل القصة القصيرة (الإرث) من مجموعة (لا أحد) لإظهارها جانب التأثر البنائي الرمزي والاعتناء بالدواخل في أدب خال.

وتثير هذه الدراسة عدداً من الأسئلة منها:

- ما أهم التأثيرات الموضوعاتية الكافكاوية في أعمال عبده خال؟
- كيف تأثر خال في بناء رواية (الطين) و (ترمي بشرر) بكافكا؟
- كيف انعكست العلاقة المتوترة بين الأب والابن في أعمال فرانز كافكا وعبده خال؟ وما مدى التشابه بين هذه العلاقة بوصفها حافزاً لكثير من موضوعات الأديبين؟
- ما هي أوجه التشابه والاختلاف في تصوير قهر السلطة في أدب كافكا وخال؟ وكيف يُظهر كل منهما تأثير السلطة على الشخصيات من حيث العزلة والتشوش؟

- إلى أي مدى يظهر تأثير فكرة "المسخ" الكافكاوي في تصوير عبده خال لشخصياته؟ وكيف يتجلى "المسخ" كرمز للتحول النفسي والاجتماعي لدى كلا الأدبيين؟
- ما الفرق بين توظيف كافكا للأجواء الكابوسية وتوظيف خال؟

ونستعين للإجابة على هذه الأسئلة **بالمنهج** الوصفي التحليلي للنصوص، مع استثمار أداوت المنهج الموضوعاتي لتحليل الموضوعات Thèmes مثل قهر السلطة، العزلة، العبث الوجودي. والحافز Motif الذي شكلها في أدب كافكا وهو صراع الأب والابن. مع بيان أوجه تكرارها في تعبير ورموز أعمال كافكا الأدبية حتى ميّزت تجربته وشكلتها ومن ثم تأثر بها الأدباء عالمياً وعربياً. وكان اختيارنا لهذا المنهج خاصة؛ نظراً لانفتاحه على المنهجين (التحليل النفسي والدراسات المقارنة)[١] فالتحليل النفسي آلية من آليات البحث في بعض المحاور نظرًا لتأثير التجارب الذاتية والبيئة في روايات الكاتبين، علاوة على استخدامهما لتقنيات الرواية النفسية التي تتجه للحياة الداخلية للشخصيات. ولأن الدراسة تهتم بتحليل النصوص على ضوء الاتجاه المستلهم من الأدب الكفكاوي؛ كان لابد من استثمار أدوات المنهج المقارن التي تنصبّ على بنية العمل الداخلية ولا تعتني كثيرًا بالربط التاريخي بين الأدبين المقارنين بسبب التطور الحاصل في الترجمة وانتقال الآداب عبرها دون شرط الالتقاء تاريخيًا بين أدبين.

**أولاً: الإطار النظري:**

**– كافكا وأدب العبث والسوداوية:**

ولد فرانز كافكا (١٨٨٣– ١٩٢٤) في براغ من عائلة يهودية بورجوازية. ورغم حصوله على شهادة في القانون، إلا أنه اختار أن يعمل موظفاً في قطاع التأمين، وفي الوقت نفسه كرّس وقته الشاغر للكتابة. ورغم كتابته لعدد من الروايات إلا

[١] للمزيد: سامية عليوي حنون "من المنهج الموضوعاتي إلى منهج النقد الأسطوري في الدراسات المقارنة، اللغة العربية، ع ٢٤ ،٢٠١٠، ص ١٢٧– ١٥٨.

أنه لم ينشرها أثناء حياته، بل أوصى صديقه بإحراق جميع مسوداته بعد وفاته.[١] ويعتبر فرانز كافكا أحد أشهر أدباء القرن العشرين، الذين اختلف النقاد في تلقي أعمالهم ما بين محتفٍ مبهور، وآخر يرى أنه لا يستحق تلك الشهرة التي جعلته أحد أعظم الأدباء في القرن الماضي. ولعل هذا الاختلاف راجع لكونه صاحب نصوص مفتوحة على التأويل وقابله للتفسير المتعدد الأوجه.[٢] لذا فسرت أعماله تارة على أساس ديني ومرة نفسي أو فكري فلسفي، لاسيما رواية المحاكمة التي فسّرت تفسيراً دينياً يدور حول (القبالة اليهودية) وتفسيراً سيكولوجيا ثم تفسيراً تاريخيا.[٣]

وبالرغم من اختلاف التلقي بين النقاد لإعمال الكاتب، إلا أنهم يجمعون على حقيقة أن لكافكا أثراً عالمياً لا يمكن إنكاره. وهذا الإجماع دفع لظهور مصطلح (الأدب الكفكاوي) في حقل الدراسات النقدية. قال ميلان كونديرا عن كافكا: "من الواضح، أن رواياته تلك التي لا تشبه شيئًا، ستظهر بمثابة نصوص خارج روزنامة التاريخ الأدبي، متوارية داخل حيز ينتمي فقط إلى مؤلفه. مع ذلك، وبالرغم من هذا التفرد، فمستجداتها الجمالية، التي نضجت قبل موعدها، تعكس حدثًا لا يمكنه إلا التأثير (ولو متأخرًا) في تاريخ الرواية. بهذا الخصوص، أخبرني

---

[١] ميلان كونديرا، رواية المحاكمة: الجميع مذنب، ترجمة: سعيد بوخليط، مجلة فكر، ع ١١، ٢٠١٥، ص ٣٤ – ٣٥ . مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/823753

[٢] للمزيد راجع: فرانز كافكا، الآثار الكاملة مع تفسيراتها، ترجمة: ابراهيم وطفي، مكون من أربعة مجلدات تضمنت أشهر مؤلفات كافكا مع دراساتها النقدية. وهي المجلد الأول الأسرة، المجلد الثاني المجتمع الصناعي، المجلد الثالث العالم كمحكمة، المجلد الرابع الكون البشري، المجلد الخامس القصص.

[٣] للمزيد راجع، ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، دار الحصاد، سورية– دمشق، المجلد الأول، ص٣٠٠–٣٢٦.

ذات مرة غابريل غارسيا ماركيز، قائلاً: (لقد جعلني كافكا، أفهم أن رواية ما، يمكننا كتابتها بكيفية أخرى)"[١]

ومن المتفق عليه، أن أبرز ما يميز بصمة كافكا الأدبية هي سوداوية عوالمه، وتركيزه على تصوير السلبي فقط، حتى لا يكاد القارئ يجد أي لمحة أمل أو سعادة في كم المعاناة الإنساني الذي ينثال في حياة شخوصه. قال المفكر الماركسي النمساوي أرنست فيشر: "وما من كاتب آخر عبّر عن هذا السلبي، عن غربة الإنسان الكاملة، بمثل هذه الشدة. ووسيلة كافكا في تصويره هذا هي السخرية الخيالية، مذهولا يدرك قارئ كافكا أن العالم الذي يعيش فيه عالماً ليس حسناً ولا مقبولاً وإنما عالما مشوهاً [هكذا] يضيّق الخناق"[٢]

وقد أثرّت نشأة كافكا وبيئته المحيطة في إبداعه الأدبي. إذ يُعتبر من الأدباء الذين استعان النقاد بيومياتهم وسيرتهم الذاتية لإضاءة فلسفتهم الحياتية التي انعكست على أدبهم. حيث تجسد روايات وقصص كافكا إحساسه بالوحدة والنبذ من المجتمع المحيط. نتج هذا عن كونه يهودياً يتكلم الألمانية في بلد تشيكي. وقد عزز شعوره بالوحدة نهج اليهود في تغذية شعور الانعزال والنبذ المجتمعي في نفوس أجيالهم، بدعوى أن جذورهم قد اقتلعت من تربتها. كما اجتمع على كافكا أكثر من عامل حياتي عزز شعوره المتشائم، ومنها الوضع الاجتماعي والسياسي حيث كانت "الأقلية اليهودية تسمى (الجنس الأجرب) كما جاء في خطاباته إلى ميلينا، [و ]كانت لغته الألمانية تفصله عن أهالي البلاد من التشيك. ومع هذا فهو يعد نفسه ضيفاً على اللغة الألمانية. وكان يشعر أنه أجنبي في براغ، مسقط رأسه. كان معزولاً عن الأهالي المتكلمين باللغة الألمانية لكونه يهودياً، كما كان منفصلاً

---

[١] ميلان كونديرا، رواية المحاكمة: الجميع مذنب، ترجمة: سعيد بوخليط، مجلة فكر، ع ١١، ٢٠١٥، ص ٣٤ – ٣٥ . مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/823753

[٢] إبراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد الثاني (الذات)، دار الحصاد، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤، ص ٣٣٦.

عن الشعب بوصفه ابناً لأحد كبار التجار [...] كان كافكا يحس أنه خارج عن جماعة تاريخية بسبب عدم اندماجه اجتماعياً وبسبب انعزاله المعنوي"[١].

كما يبرز في أدب كافكا تأثير أحداث العصر التاريخية، حيث عاش في فترة هيمنت فيها النزعة المادية المتنامية بعد الثورة الصناعية التي طغت فيها الآلة على روحية إنسان عصره فحولته إلى مسخ، أو عبد للآلة والمادة التي اقتحمت حياته، وكان لهذه التحولات أثرها على نفسية الناس عامة والمهيئين للتوترات والقلق بسبب حساسيتهم المفرطة مثل كافكا خاصة.[٢]

يضاف إلى هذه الظروف الحياتية العامة، ظروف حياته العائلية، ومنها نشأة كافكا الخاصة التي بدأت بطفولته الانعزالية نظراً لطائفته اليهودية– ولد لأبوين يهوديين ألمانيين– كما كانت علاقته بوالده هيرمان معقدة وصعبة؛ بسبب اختلاف شخصيتيهما. فوالده كان ذا شخصية قوية وصارمة، يعمل تاجراً للملابس وكان ناجحاً ومحافظاً وعملياً. بينما اتسم فرانز بالحساسية الشديدة والتأمل. وكان الأب يتوقع من فرانز مزيدًا من التفرغ للعمل والنجاح المادي، بينما كان فرانز يرغب في التفرغ لكتابة الأدب والتعبير الفني. هذا الصراع بين تطلعات الأب وطموحات الابن انعكس بتأثير كبير على نفسية فرانز وأسلمه للشعور بالعجز والغربة. وبالرغم من إن فرانز كان يحترم والده، إلا إنه كان يشعر بالعزلة والغربة منه. تجلى ذلك كله في كتاباته، حيث غالباً ما ظهرت شخصيات الآباء في أعماله بشكل متناقض ومعقد، غير مفهومة أو محبطة. وبعد وفاة والده في عام ١٩٣١، انعكست تلك العلاقة في كتاباته بشكل أكبر، حيث تناولت العديد من أعماله موضوع الوالد والابن والعلاقات العائلية بشكل عام، مثل روايته (لمحاكمة) التي تعكس الشعور بالضياع والاضطهاد والعجز الذي يمكن أن يشعر به الإنسان أمام السلطة والنظام.

---

[١] روجيه غارودي، واقعية بلا ضفاف، ترجمة: حليم طوسون، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨، ص١٤٧–١٤٨.

[٢] نجم عبد الله كاظم، كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦ – ع ١و٢ ٢٠١٠، ص٢٣٠

كانت علاقة كافكا بوالده ذات تأثير عميق على حياته وكتاباته، إذ شكلت مصدر إلهام وألم في الوقت نفسه، كما بلورت جزءاً أساسياً من فهمه للذات والعالم من حوله. وقد دوّن كافكا من خلال يومياته الشهيرة التي نشرت بعنوان (رسالة إلى الوالد) (Brief an den Vater)[١] جزءً من حياته الشخصية مركزاً على علاقته المتوترة مع أبيه وأثرها في تشكيل شخصيته الأدبية. حيث انتقد كافكا والده بشدة، متهماً إياه بالتسبب في شعوره بالإحباط والعجز، واصفاً إياه بأنه شخصية غير مفهومة وصارمة، وأنه لم يكن يشعر بالقرب منه. وعلى الرغم من هذه الانتقادات اللاذعة، فإن الرسالة تنبع من شعور بالعجز والحزن. وتعبر عن رغبة كافكا في تحقيق التفاهم والاتصال العميق مع والده، على الرغم من الصعوبات التي واجهتهما في تحقيق ذلك. وتعكس هذه الرسالة تعقّد العلاقة بين كافكا ووالده، وتوضح كيف أن تلك العلاقة قد تركت بصمتها العميقة على حياته وأعماله الأدبية. وقد اعتبرت هذه الرسالة واحدة من أبرز الوثائق النفسية في الأدب العالمي.

وكافكا يُعتبر أحد أبرز الأدباء الذين اعتمد النقاد على دراسة حياتهم الشخصية لتفسير إبداعهم الأدبي. حيث استنتج النقاد أن ظروفه الشخصية كان لها تأثير كبير على إنتاجه الأدبي. وتضافرت دراسة يومياته مع تحليل رواياته لإعادة بناء العمليات الداخلية لعالمه واستخلاص فلسفته الحياتية.

تشكلت نفسية كافكا نتيجة عوامل عديدة، مثل توتر علاقته مع والده، فراغه الروحي، وعجزه عن الاندماج في المجتمع الإنساني. وكانت معاناته الصحية، التي تسببت في عجزه عن الزواج، الحلقة الأخيرة في سلسلة معاناته. تلك الظروف السوداء ألقت بظلالها على أدبه، مما أضفى عليه مسحة من الغموض الذي يعجز القارئ عن استيعابه بالكامل، لأنها تعتمد على فلسفة عميقة تتعلق بحقيقة وجود الإنسان. ترى تكنك أكرم "إن تلك الأجواء السوداء تلفّ أدب كافكا بمسحة من الغموض يعجز القارئ عن الوصول إلى كنهها لأنها تضرب بعيداً

[١] ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد ١، مرجع سابق، ص ٦٠٣.

لتفلت من القارئ، لأنها وببساطة ترتكز على فلسفة عميقة تضرب عميقاً في حقيقة وجود الإنسان"[١]

والقول السابق، ينبهنا إلى حقيقة مفادها أنه لا يمكن اعتبار أدب كافكا مجرد أدب شخصي ذاتي يعكس فترة تاريخية معينة. فهو أدب عالمي يتناول أزمة الإحساس بالإثم والعقاب التي ترافق الإنسان منذ بدء الخليقة. حيث تُبرز أعماله الشعور الدائم بالذنب الذي يلاحق الإنسان كحالة وجودية، وهو ما وصفه كافكا مرة في دفتر ملاحظاته: بـ "أن الحالة التي نجد أنفسنا عليها حالة آثمة، ومستقلة تمام الاستقلال عن الاثم ذاته"[٢].

إضافةً إلى ذلك، فالعديد من النقاد يرون أن أعمال كافكا لا يمكن حصرها في سياق حياته الشخصية فقط، بل يجب النظر إليها من زاوية أعمق. فبسبب اهتمامه بالتحليل النفسي للدواخل الانسانية بعصابيتها وانتكاساتها ولا وعيها البشري، لا تعكس أعماله بالضرورة نتائج خارجية لنشأته. بل تنبع من جذور أيديولوجية وفلسفية كانت تغذي شخصيته. كما أن تحليله للأفكار والمفاهيم في الموضوعات الاجتماعية المطروحة في أدبه، مثل الجنس، الطبقات، والعصاب، تجعل من الضروري التعامل مع أعماله كمفاهيم عالمية بدلاً من قصرها على السياق التاريخي والجغرافي الذي عاش فيه.

وعلاوة على ذلك، فإن يوميات كافكا ومراسلاته توفر تفسيرًا إضافيًا لفهم أدبه. فتوثيقه لـ"عالم المكاتب والسجلات، والغرف المتعفنة والمظلمة" يعكس رؤيته

---

[١] تكنك إكرام، الحضور الكافكاوي في النقد العربي، مجلة الحوار الفكري، ١٣(١٦)، ١٣-٤٠، ص ٢٠.

[٢] فيليب راف، دراسات في الآداب الأجنبية: مدخل إلى كافكا، مجلة الآداب، ترجمة: ماهر البطوطي س١٣ ، ع ٤، ٣٧ – ٤١، ١٩٦٥ مسترجع من Record/com.mandumah.search//:http/٤١٩٨٩٠

الخاصة للعالم. بناءً على ذلك، فإن دراسة مراسلاته قد تساعد في تسليط الضوء على العناصر المحورية التي تشكلت في أدبه، وتجعلها أكثر فهمًا.[١]

وعليه، فبسبب عالمية النزعات البشرية التي تعكسها عوالم كافكا، لازالت أعماله حاضرة التأثير رغم مرور الزمن في العصر الحديث. لما تعكسه من شعور بتجربة الضياع الإنساني والغربة والقلق "وهي تجربة تزداد تسلطاً في العصر الحديث" [٢] وما خلّفه مأزق الحضارة المادي من إحساس باليأس والعدمية والاضطراب. فأعمال كافكا تعكس توترات الخبرة الإنسانية، ومصادمتها مع شكوكها حول قدرتها في مواجهة حاجات العصر ومتطلباته التي صادرت إحساسه بالأمن والحرية، وحبسته في قوالب المدنيّة الضاغطة "إن وعي شخصيات كافكا بضرورة الحرية هو أصل كل الخوف والقلق والألم، مما يجعلها لا تظهر قوية سادية ولا عاجزة ضعيفة، فضرورة الفعل يجعلها قلقلة خائفة. إن تراجيديا كافكا ليست هي ذلك الإنسان الذي وقع فريسة القدر، ولكنها تتجسد عبر عدم إرادة الإنسان لأن يستحوذ على حريته ويمتلكها في هذا العالم المغترب، لذلك نجد كافكا يصور لنا في أعماله الروائية والقصصية صراع الحياة الذي يرغم على الفعل مع مواجهة كل الشكوك وعدم اليقين والأخطار المحدقة بنا".[٣]

وبالرغم من صيغة المفرد التي تتبدى في سرد الكاتب، إلا أن الخطاب يوجه على مستوى جماعي يعكس همّاً إنسانيا عاما يتجاوز الأسلوب الفردي يقول مارتن ففايفر: "يسرد كافكا من منظور ووجهة نظر شخص واحد، ليس بصيغة الأنا فحسب، بل بصيغة الهو أيضاً. كل ما يروى في رواية المفقود، يراه كارل روسمان أو يحسه، ما من شيء يروى بدونه، ما من شيء يروى في غيابه. لا يعلمنا

---

(1) Emanuel Grec,"Franz Kafka's personal writings and their philosophical impact on his literature."، Sense and Sensibility: Topics in Intellectual History of Central and Eastern Europe Winter Semester 2015-2016, Department of History, CEU

[٢] فيليب راف، دراسات في الآداب الأجنبية: مدخل إلى كافكا، مرجع سابق، ص ٣٧.

[٣] تكنك إكرام، الحضور الكافكاوي في النقد العربي، مرجع سابق، ص

الراوي سوى أفكار كارل وحده، ولا أحد غيره والحال نفسه نجده في روايتي المحاكمة والقلعة" [١] إلا أن تجربته الأدبية تحولت إلى تجربة عابرة للحدود الضيقة ومعبرة عن أزمة إنسان العصر مما حول أدبه إلى أدب عالمي مؤثر ذا صبغة موسومة بالكآبة والسوداوية والضيق تحول إلى تيار محدد سمي بـ "الأدب الكفكاوي".

ولعل أبرز ميزة في أدب كافكا، هي انفتاحه على الاحتمالات مما أدى إلى تداوله في ساحات النقد الأدبي لفترة طويلة بعد وفاة صاحبه. نشر الناقد تيو إلم دراسة بعنوان (خمسون عاما من الدراسات عن كافكا) جاء فيها: "إن القارئ غير المختص الذي يأمل في قراءته لكافكا بعض العون من الاختصاصيين، يرى نفسه أمام نحو أحد عشر ألفاً –والعدد في ازدياد– من آراء الخبراء الذين يتنافسون على تفسير آثار كافكا! فلا يبقى له سوى الحيرة والشكوك" [٢] ولا شك أن تعدد مستويات التفسير خير دليل على ثراء النصوص الكافكاوية وتعقدها؛ مما يحفز قراءات النقد المستمرة ومحاولاته لكشفها " أن غنى النص الكافكاوي وثراءه و أكثر من ذلك تعقده، كل ذلك كان نفساً جديداً متجدداً للدرس النقدي، وسبيلاً للحفاظ على مقروئية النص الكافكاوي. فتعقد النص الكافكاوي وإغراقه في سريالية من نوع خاص قد يدفع بقارئه إلى معاودة قراءته أملا في فك شفرته"[٣]

**– الكافكائية وتأثيرها بالأدب العالمي والعربي:**

تميزت أعمال كافكا بأسلوبه الفريد ومواضيعه المعقدة، المظلمة. والتي تتناول قضايا الهوية الفردية والشعور بالغربة والسيطرة البيروقراطية. كما يُعتبر كافكا أحد رواد الرواية الحديثة ويُعد أحد أعمدة الأدب الفانتازي والواقعية السحرية. وأشهر أعماله الأدبية هي رواية "المسخ/ الانمساخ" (Die Verwandlung) و"المحاكمة" (Der Prozess) و"(القلعة)" (Das Schloss). كتب أيضًا مجموعة من القصص القصيرة مثل "أمام القانون" (Vor dem Gesetz) و"مسرحية حارس

---

[١] ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد ٣، ط١، ٢٠١٠، ص ٢١٧.

[٢] ابراهيم وطفى، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد ٣، مرجع سابق، ص ٣٤٣.

[٣] تكنك إكرام، الحضور الكافكاوي في النقد العربي، مرجع سابق، ص ١٣.

القبر" (Der Gruftwächter) ومجموعة "طبيب ريفي" (Ein Landarzt). ورغم موته الشاب في سن الأربعين، فإن تأثير كافكا على الأدب والثقافة لا يمكن إنكاره؛ ما أدى بالنقاد إلى وضع مصطلح خاص بأدبه وهو (الأدب الكفكاوي أو الكفكائية). وهي بحسب الدكتور المتخصص في أدب كافكا جيرمي إدلر "مصطلح جديد دخل المعاجم الغربية، وبات يستعمل لوصف الوضعية الكابوسية التي يعيشها الشخص المعاصر في مواجهته القوى الاجتماعية الحديثة والنظام البيروقراطي المتصلب في المؤسسات. وهكذا ارتبط كافكا في أغلب الأحيان بشقاء وإحباط وبؤس موقف الإنسان في العصرين الحديث والمعاصر".[١] والكافكائية كلمة ولدت في الثقافة الغربية الألمانية في حقبة الفاشستية من قبل الكتّاب الألمان الذين كانوا في المنفى. وقد رأوا أن كافكا قد تنبأ بالمصير السياسي للمنطقة في كتبه التي توفي قبل أن ينشرها. كما اعتبروه ناقداً للفاشستية التي تنبأ بمولدها "في هذه الفترة استحدثت كلمة كافكاوي، التي عنت في بادئ الأمر شيئاً مثل متاهة، مهدداً، مقلقاً، ثم رمزت إلى الغامض غير المفهوم"[٢]

وعلى الرغم من أن تأثير كافكا يعتبر ظاهرة أدبية عالمية، إلا أن ما يهمنا في هذه الدراسة هو تأثيره على الأدب العربي بعد انتشار ترجمات أعماله وتعددها مما أثرى ساحة الإبداع والنقد على حد سواء. فعلى مستوى التأثير الأدبي، يعتبر كافكا أحد أهم الأسماء التي أثرت الإبداع العربي "فمراجعة عامة لمن تمت الترجمة لهم إلى العربية، تُبين أن أكثر هؤلاء انتشاراً في الوطن العربي في القرن العشرين، وبين المثقفين والأدباء خصوصاً، هم: تشيخوف وديستويفسكي وفوكنر وهمنغوي وسارتر وكامو وجويس وولف ولورنس ومان وكافكا" [٣]

---

[١] عبداتي بو شعاب، الكفكائية في السرد العربي المعاصر، مراجعة موضوعاتية لمجموعة القسوة تبدأ بسقوط تفاحة لحسن بولهويشات، المجلة العربية مداد، المؤسسة العربية للتربية والعلوم، مصر، المجلد ٦، العدد ١٩، أكتوبر ٢٠٢٢، ص ٤٨

[٢] ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد ٢، مرجع سابق، ص٣٢٧.

[٣] نجم عبد الله كاظم، كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

وقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى شيوع التأثر بكافكا عربياً، يندرج بعضها تحت جهود المترجمين والنقاد في تعريف القارئ والأديب العربي على إنتاجه. إضافة إلى الظروف السياسية والثقافية التي سادت المنطقة العربية في ستينات القرن العشرين. فقد ساهمت نكسة ٦٧ في خلق المزاج النفسي الكئيب الملائم لأدب كافكا "إن هزيمة حزيران ١٩٦٧ التي فجرت الوجود العربي وزعزعت اليقين الذي كان سائداً خلال عقود سابقة، فتحت الباب على مصراعيه ليقتحم كافكا عالم الرواية العربية [...] إن تأثير هزيمة حزيران على الرواية يتبدى في مظاهر أساسية. أولا: أصبحت الأمثلة المحرقة والمحرجة هي أسئلة الرواية الأساسية [...] لتطرح [...] رواية الهم القومي والصراع الطبقي والقمع والدكتاتورية [...] ثانيا: تراجع أو سقوط الأفكار والصيغ والقناعات التي كانت سائدة قبل الهزيمة، وتغير المناخات السياسية والنفسية للجماهير والأنظمة الحاكمة".[١]

علاوة على الظروف السياسية في المنطقة، فقد تعددت جهود المترجمين في نشر أدب كافكا في الساحة الثقافية العربية. وكان لجمع آثاره في مجلدات مخصوصة تحت اسم (فرانز كافكا، الآثار الكاملة مع تفسيراتها) للكاتب ابراهيم وطفى دوره في استمرار تناول كافكا نقدياً وتأثيره إبداعياً في الأدباء العرب. حيث ألف المترجم والكاتب ابراهيم أربعة كتب جمع فيها معظم آثار كافكا، مرفقاً الدراسات النقدية المختلفة التي تناولتها. يرى جبران وطفي أن " كل جزء من "الاثار الكاملة" لكافكا تضّمن العديد من الدراسات التي وضعها بحّاثة أوربيون معروفون في إبداع كافكا، هذه الدراسات أضاءت كون فرانز كافكا"[٢] ورغم أن المؤلف وطفي يصرّح في الكتاب، أن جهده ينحصر في الجمع والترجمة وليس التأليف، إلا أن نهج المؤلف في عدم الاكتفاء بترجمة الآثار الأدبية فقط، بل واتباعها بترجمة القراءات النقدية والمقالات التي تناولتها قد أثرى المادة العلمية المقدمة للقارئ العربي.

---

[١] محمد الدوهو، كافكا والرواية العربية، مجلة الملتقى، ع٤، مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/515643 ، ص١٣٤-١٣٥.

[٢] جبران وطفي، "كافكا العربي في عام ٢٠٤٩" في ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، دار الحصاد، دمشق، ط١، ٢٠١٤، المجلد ٤١، ص٣٨٣.

ولم يقف جهد وطفي على هذا المؤلَّف حيث أصدر كتاب (كافكا في النقد العربي، البداية ١٩٩٤ – ٢٠٠٥) وهو مجموعة من المقالات النقدية العربية التي تناولت كافكا جمعها المؤلف من الصحف وصفحات الانترنت مبيناً أن التاريخ الذي حدده بـ ( ١٤٩٤–٢٠٠٥) يمثّل المرحلة الثانية من تلقي الجمهور العربي لكافكا، وأتت بعد المرحلة الأولى التي بدأت بنشر الدكتور طه حسين لمقالته عن كافكا والتي قدّمت كافكا للعالم العربي، باعتبارها أول مقالة نقدية بالعربية عنه ونشرت في مجلة الكاتب عام ١٩٩٤.

ولعل من أهم العوامل التي ساهمت في احتفاء الأديب والقارئ العربي بأدب كافكا، طبيعته الميالة لنقد الواقع. فبالرغم من أن روايات كافكا تحمل ظاهرياً خصائص الحلم أو الهلوسة، إلا أن مؤلفها كان يحمل همّ التعبير عن الواقع ومحاكمته في أدبه ويومياته التي تمتلئ بملاحظاته عما يدور حوله في الشارع، أو الحياة الوظيفية، ناقلاً علاقته الملتبسة بهذا الواقع. وهذا الهم الإنساني، انتقل إلى الأديب العربي الذي وجد في أدب كافكا ما يشابه عالمه العصري الضاغط، وهمومه اليومية المطبوعة بالقلق والإحساس الوجودي بالعبثية. ومن أوائل القراءات النقدية العربية لأسلوب كافكا الحلمي–الواقعي، مقال (فرانز كافكا) للدكتور طه حسين والذي رفع فيه إدانة كافكا للواقع إلى مستوى الإدانة الكلية للوجود الإنساني منذ خليقته، وذلك في تحليله لرواية المحاكمة أو (القضية). إذ رأى طه حسين أن الرواية، تحاكم الإنسان على خطيئته القديمة الأولى والتي لازالت الحياة تحاكمه عليها. فالإنسان يحاكم لأنه مخطئ في الأصل، وهو لا يدرك سر العقاب والخطيئة "إنَّما أراد الكاتب ِ إلى أن يُصِّور الإنسان البائس اليائس الذي أُجبر على الحياة دون أن يُريدها، وأُجبر على الموت دون أن يريده، وخيِّل إليه أنه حر بين ذلك"[١]. ومقالة طه حسين، إحدى أهم المقالات التي لفتت الانتباه العربي إلى أسلوب كافكا الغريب، الذي يحمل داخله السهولة التي تجعل القارئ يظن أنه يفهم الحقائق السطحية والتفصيلات اليومية العادية في السرد، إلا أنه يواجه في آخر الأمر بصدمة أنه لم يفهم المقصود تماماً. يقول طه حسين " قارئ فرانز كفكا في

[١] طه حسين، ألوان، مؤسسة هنداوي، وندسور، المملكة المتحدة، ٢٠١٣، ص٢١٨.

الدنيا وليس فيها، هو في عالم غريب، لا هو بالواقعي ولا هو بالوهمي، وإنَّما هو شيء بين الواقع والوهم يملأ النفس حيرة وشوقًا وسأمًا وإلحاحًا في وقت واحد"[١] وردّ طه حسين اضطراب كافكا وسوداوية نظرته إلى إحساسه بالضياع. فهو برأيه، إنسان قد فقد صلته بربّه علاوة على الظروف المعيشية على المستوى الخاص كاضمحلال دور الأب في حياته. والمستوى العام في ظروف الحرب في عصره. حيث قال: " أدب فرانز كفكا يقوم، أو قد يدور حول هذه الأصول الثلاثة وهي: العجز عن الاتصال بالإله من جهة والعجز عن فهم الخطيئة والتبرؤ منها، مع الثقة بالتورط فيها من جهة ثانية. والعجز عن فهم العلل الغائية لما يكون في العالم من الخطوب والأحداث من جهة ثالثة. وأنت إذا قرأت هذه الاثار الكثيرة التي نشرت لفرانز كفكا على اختلافها في الطول والقصر، وتفاوتها في الوضوح والغموض، رأيتها كلها تدور حول هذه الأصول"[٢]

وتتالت الدراسات النقدية التي دارت حول الروايات التي تناولها طه حسين في مقاله والتي تعتبر الأكثر تأثيراً في الأدب العربي، استناداً على الدراسات والبحوث النقدية العربي وهي روايات (المحاكمة وترجمت كذلك بالقضية، (القلعة) وترجمت أيضاً بالقصر، أمريكا، و(الانمساخ) وترجمت أيضاً بالتحول والمسخ). وتنوعت الدراسات النقدية العربية التي درست آثارها وانقسمت إلى:

- دراسات تناولت الملامح الاسلوبية العامة لكافكا وتأثيرها في الروايات: ومنها دراسة نجم عبد الله كاظم بعنوان (كافكا في الرواية العربية والسطة والبطل المطارد) التي تناولت جوانب الالتقاء بين كافكا وأربعة روائيين عرب ضمن دراسة مقارنة تطبيقية ركّزت على فكرة المطاردة من قبل السلطة الحاكمة لأبطال الروايات وما تخلقه من أزمات نفسية واجتماعية عليهم. وحصرت الدراسة تأثير كافكا بمحاور رئيسة هي: العوالم الغريبة واللامعقولة، والسلطة والبطل المطارد، والاغتراب والإحساس بعدم الأمان، والتي استنبطها من عالم

[١] طه حسين، ألوان، مرجع سابق، ص ٢١٥.

[٢] طه حسين، ألوان، مرجع سابق، ص٢٢٣.

الكاتب الخيالي الذي يحاكم الواقع أو كما قال "عالم خيالي مشّيد بمواد عالم الواقع" [١]

- دراسات تناولت تأثير رواية معينة لكافكا في الأدب العربي: ومنها دراسات حللت تأثير رواية المحاكمة، التي تنوع تأثر الكتاب العرب فيها ما بين اقتباس هيكليتها أو فكرتها الرئيسة وهي السلطة الغاشمة التي تقهر البطل، وبين اقتداء بعض الأدباء بكافكا في تسمية بطله (بكاف) مثل صنع الله ابراهيم في رواية اللجنة. ونذكر من هذه الدراسات النقدية على سبيل التمثيل لا الحصر (المحاكمة في ثلاث روايات: دراسة مقارنة لمحمد الباردي) والتي نشرت ضمن فعاليات الندوة العالمية للدرس المقارن وتحاور الآداب، أبرز فيها الباحث تأثير رواية (المحاكمة) لكافكا على روايتين عربيتين من قطرين مختلفين هما: رواية اللجنة للكاتب المصري صنع الله إبراهيم (١٩٨١)، ورواية محاكمة كلب للكاتب التونسي عبد الجبار العش (٢٠٠٧). ويرى الكاتب أن الروايات كان "يجمع بينها مدار سردي واحد وهو تقدم الشخصية المركزية إلى المحاكمة وما حفّ بها من انفعالات وردود أفعال وتربط بينها كذلك حبكة متشابهة، ذلك أن السرد يتمحور حول العلاقة المتوترة بين المحكمة وجهازها الأمني والإداري والشخصية الروائية التي تجد نفسها في مواجهة تهمة غير عادية"[٢]

---

[١] نجم عبد الله كاظم، كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد، مرجع سابق، ص٢٢٧.

[٢] محمد الباردي، المحاكمة في ثلاث روايات: دراسة مقارنة.فعاليات الندوة الدولية: الدرس المقارن وتحاور الآداب، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة" والجمعية التونسية للأدب المقارن "جمام"، ٢٠١٥، ٣٨٩ – ٤١٣ . مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/716173، ص ٣٩٨.

ومن الدراسات العربية التي دارت حول تأثير رواية المحاكمة دراسة أثر رواية (المحاكمة) لفرانز كافكا في رواية (الغرف الأخرى) لجبرا إبراهيم جبرا (مقاربة تحليلية في أوجه الاتفاق بين الروايتين). للباحثين د. جمال طالبي قره قشلاقي وأسماء بوشايبالتي. وخلصت الدراسة إلى تشابه الروايتين في عدة نقاط أهمها مجهولية اسم البطل للدلالة على ضياع هويته الحقيقية، لغة السخرية والاستهزاء في بعض مشاهد الروايتين مما عزز حالة انكسار الذات في ظل ما يواجه الانسان من مستقبل مجهول، التعبير عن عبثية الوجود واللامتوقع الذي يحمل كثيراً من الدلالات بشكل غامض. إلا أن هذه التشابهات لا تنفي وجود اختلاف في الشخصيات والزمن المحدود عند جبرا مقابل المطلق عند كافكا.[١]

ومن الدراسات المحلية السعودية التي تناولت تأثير رواية لكافكا على غيرها، دراسة (رواية الإنمساخ لفرانز كافكا وأثرها في الرواية السعودية: دراسة مقارنة) التي بين فيها الباحث أثر (الانمساخ) على ثلاث روايات محلية هي وهي: رواية (حياة السيد كاف) لعلي الشدوي، ورواية (الحالة الحرجة للمدعو ك) لعزيز محمد، ورواية (المسخ) لولاء عودة أبو غندر. مركزاً على العتبات النصية مثل عتبة العنوان وعتبة الاستهلال، وعلى المبنى الحكائي الذي تأثرت فيه

[١] جمال طالبي قره قشلاقي وأسماء علجية بوشايبالتي، دراسة أثر رواية المحاكمة لفرانس كافكا في رواية الغرف الأخرى لجبرا إبراهيم جبرا (مقاربة تحليلية في أوجه الاتفاق بين الروايتين)، مجلة اللغة العربية وآدابها، س ١٨، ع ٢، الصيف ٢٠٢٢ م ص ٢١٨–٢٣١.

بعض الروايات المدروسة رؤيةً وشخصياتٍ وأحداثًاً وفضاءاتٍ زمانية ومكانية برواية (الانمساخ).[١]

وقد اختلفت الدراسات في تناولها لمواضيع محددة، أو رواية واحدة، إلا إنه لا توجد دراسة عربية –على حد علمنا– شملت دراسة جميع أوجه التشابه والتأثر بين كافكا وأديب سعودي مثل هذه الدراسة، وعلى الرغم من تشابه عوالم كافكا وخال، وإلماح النقاد لهذا التشابه كثيراً، إلا إنه لا توجد دراسة ركزت على ابدائه. واللافت للنظر أن أغلب الدراسات التي بحثت في تأثير كافكا على الأدباء العرب ركزت على االموضوعات دوناً عن تأثر الأدباء بالجانب التقني لكافكا[٢] وهو ما تعالجه هذه الدراسة في آخر مباحثها.

**– عالم عبده خال السردي والمؤثرات الأجنبية فيه:**

عبده خال من أهم الروائيين السعوديين حضورًا من حيث الكم والكيف، فتجربته السردية تدرجت من كتابة القصة القصيرة إلى الرواية حتى أصبح من ألمع الأسماء الأدبية في المملكة والعالم العربي، بعد حصوله على جائزة البوكر في نسختها العربية عن رواية (ترمي بشرر) عام ٢٠١٠. أصدر العديد من الأعمال التي تنوعت بين الواقعية الناقدة الساخطة على المجتمع والواقعية السحرية.

ولد عبده خال في قرية المجنَّة بمنطقة جازان لأسرة فقيرة تعيش في قرية. تولت قيادتها والدته بعد وفاة والده وهو صغير. وأحاطت بنشأته مجموعة من الظروف الصعبة بسبب انتشار الفقر والأوبئة حيث يذكر في إحدى مقابلاته أنه نجا بصعوبة في عمر الخامسة من الحمى التي أودت بحياة خمسة عشر من إخوته[٣]. وفي مرحلة من حياته اضطرت والدته لإرساله إلى مدينة جدة عند أخيه

---

[١] منصور البلوي، "رواية "الإنمساخ" لفرانز كافكا وأثرها في الرواية السعودية: دراسة مقارنة."مجلة العلوم الإنسانيةع ١٨ ( ٢٠٢٣ ): ١٥٩ – ١٧٢ . مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1390901

[٢] تكنك إكرام، الحضور الكافكاوي في النقد العربي. مرجع سابق، ص ٣٧.

[٣] عبده خال، أتركوني أكتب كما أشاء.. ولا تقرأوا لي، جريدة عكاظ، عدد الأحد ١١ أكتوبر ٢٠٢٠. من https://www.okaz.com.sa/culture/na/2044332

ليكمل دراسته التي تابعها، حتى حصل على درجة البكالوريوس في الاقتصاد والسياسة من جامعة الملك عبد العزيز. ثم عمل مدرساً للمرحلة الابتدائية، مخصصاً وقت فراغه للإسهام بالحركة الثقافية في المملكة حيث عمل في صحيفة عكاظ. وله العديد من المقالات المنشورة في مجلات أدبية عربية وشارك في تحرير دورية الراوي والنص الجديد الصادرتين عن نادي جدة الأدبي. وهو عضو فاعل في الأمسيات الثقافية التي تقيمها الأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون.[1]

يمتاز سرد عبده خال بالتنويع بين بيئة القرية الجازانية بلهجتها وتراثها وأساطيرها، وبين بيئة المدينة المعاصرة المتمثلة بمدينة جدة لا سيما مرحلتها الانتقالية التي عاشها خال مثل جميع معاصريه والتي انتقل فيها المجتمع السعودي بعد الطفرة الاقتصادية من حياة القرى الوادعة التي هاجروا منها بعد بناء الدولة الحديثة، وبدء التوظيف الحكومي، إلى حياة المدنية الضاغطة وهمومها. وعلى اختلاف بيئات الروايات والمجموعات القصصية، كان عبده خال يركز دائماً على الطبقات المسحوقة اقتصادياً ومجتمعياً، مبرزاً همومها وصراعاتها التي تمتد أحيانا إلى الصراع الطبقي مع سلطة الطبقات العليا. وعلى الرغم من تشعب الرؤى والقضايا المتناولة في الرواية الواحدة لخال، إلا أنه يمتاز غالباً بالمحافظة على الخط الروائي. روايات عبده خال ثرية بتعدد الشخصيات ذات المرجعيات الثقافية المختلفة في المجتمع السعودي، يغوص من خلالها خال إلى الكشف عن كثير من عيوب البشر وأوجاعهم، إذ جنّد قلمه لإبراز تناقضات الواقع ومفارقاته مركزاً على الطبقات المهمشة الفقيرة على اختلاف مرجعيتها.

ومن المفيد لهذه الدراسة استعراض مواطن الالتقاء بين شخصيتي الروائيين ( كافكا وخال) الواقعية باعتبار أن الحاضنة الثقافية بمرجعياتها، والبيئة والتاريخ هما ما يشكلان شخصية أي مبدع. فعبده خال مبدع وجد نفسه ساخطاً – مثل كافكا– على عديد من الأشياء. ابتداء بالتخصص العلمي الذي انتهى إليه بعد

---

[1] انظر: خالد اليوسف وخزيمة العطاس، دليل الكتاب والكاتبات، الجمعية العربية للثقافة والفنون، الرياض، ط٣، ١٩٩٥م، ص٩٥؛ محمد ينال هذال الدوسري، عبده خال روائيًا، رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م، ص٧.

التنقل بين عدة تخصصات جامعية وهو (العلوم السياسية) والتي صرح بأنه اختاره لأنه أقرب للأدب من بقية التخصصات العلمية. مروراً بالبيروقراطية التي يتحكم بها أغنياء المدن بمصائر الناس البسطاء والمهمشين، والتعصب الديني الذي يرى أنه سرق عمر جيل بأكمله. يقول عبده خال: "المجتمع السعودي تم اختطافه لمدة أربعين سنة من التيار المتشدد، تم خلال هذه الفترة تحريم جميع الفنون بما فيها الرواية"[١] علاوة على ذلك، فخال يصرّح دائماً بانتكاساته النفسية التي يجلبها له تفكيره المستمر بوضع المنطقة السياسي أو الاجتماعي، خاصة الحروب التي لا تهدأ بمنطقة الشرق الأوسط، والتي أثرت كثيراً على حياة البسطاء الذين يحمل عبده خال همومهم دائماً. ويصرح بذلك في مقالاته ولقاءاته دون مواربة فيقول: "هناك أوغاد شوهوا حياة أناس بسطاء [...] حولوا حياتهم إلى دمار انساني من غير أن يقفوا للمحاكمة أو أن يعتذروا من كل الجرائم التي ارتكبت في حق هذه الشعوب المسحوقة والمدمرة بفعل سياسي [...] إن مهمة الساسة تصريف القاذورات إلى حلوقنا ومهمتنا تنقية صدورنا من سموم الحروب". [٢] ويرى خال أن الموت ليس نهاية للعذاب، فهروب الجثة من قبرها في رواية (فسوق) "تذير طوفان لواقع يتفسخ لدرجة الوصول إلى الهروب من القبر"[٣].

تدور مواضيع خال غالباً حول هموم الطبقة الوسطى والدنيا؛ لأنه يرى أنه لم يعش تفاصيل حياة الأثرياء، لذا ستظل كتابته عنهم كتابة من الخارج "سبق أن كتبت عن طبقة الأغنياء إلا أن الكتابة ظلت كتابة خارجية. ولا أخفيك أني أتابع شخصية رجل أعمال كبير، ففي كل مكان ألتقي به أجده يزداد انتفاخاً ولا مبالاة بمن هم حوله شخصية بطريركية لا تعرف سبباً لتشمير شفتيه الدائم".[٤]

---

[١] عبده خال، إيمان الخطاف،" عبده خال: أحمل داخلي أكثر من ٦٠ شخصية والروائيون عالقون نفسياً"، جريدة الشرق الأوسط، ٢٤ يناير ٢٠١٨، من https://n9.cl/yglwp

[٢] عبده خال في طامي السميري، الرواية السعودية حوارات واسئلة واشكالات، دار الكفاح للنشر، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٣٥.

[٣] نفسه، ص٢٤١

[٤] عبده خال في طامي السميري، الرواية السعودية حوارات واسئلة واشكالات، دار الكفاح للنشر، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٤٦.

والمتتبع لأدب وتصريحات عبده خال التي تكشف ظروف كتابته، يلمس غضب الكاتب المكبوت الذي يفجّره من خلال السوداوية الطاغية التي تتبدى في إنتاجه. حينما حاوره محمد الهويمل في جريدة الرياض عن مجموعته (الأوغاد يضحكون) سائلاً: من الذي يبكي حين يضحك الأوغاد؟ رد خال: "حينما يضحك الأوغاد علينا جميعا أن نبكي! فالأوغاد عادة ما يعكرون صفو الحياة، وبالتالي يكون انعكاسها على ما تكدرت حياته بسبب تلك الضحكة.

– وأنت من الذين تكدرت حياتهم بسببها؟

– ليس شرطاً أن أكون أنا من تكدر. ربما أكون حاضرا لمشهد فأنقل تفاصيل تلك الضحكة التي سرت بين كثير وعكرت حياتهم، وربما أكون أحد المتضررين. ولكن في الأخير جميعنا نبكي إذا ضحك الأوغاد"[1]

وباستعراضنا لحياة الكاتبين، نجد تشابهاً في الظروف البيئية التي ساهمت في بلورة تجربتيهما النفسية والحياتية. يضاف إلى ذلك اشتراكهما بالطبيعة الحساسة المتوترة التي تحمل همّاً عامّاً. كما إن كافكا وخال يلتقيان في طبيعتهم التي تدمج بين التجربة الذاتية والتجربة الروائية، فكلاهما يدرجان تجاربهما الحياتية في إطار التجربة الروائية، ويتوسعان في مداراتهما من الخاص إلى العام البشري. وعلى الرغم من عدم اتفاقهما في التفصيلات الجانبية أو الجوهر الذي ينبع من رؤيا فلسفية عميقة لدى كافكا، تقابلها رؤيا اجتماعية نقدية تأملية لدى خال. إلا أنهما يلتقيان في المنظور الفكري الذي يركز على ضياع قيمة الإنسان عند كافكا بين المتناقضات العصرية وضغط المادة وقهر السلطة، وهي المعاناة نفسها التي نستشعرها لدى شخوص خال الروائية، بعد انسحاق قيمتهم الإنسانية أمام عدة عوامل منها الصراع الطبقي والاقصاء، سلطة الأب، وغيرها.

ولا نستطيع أن نقر بأن تشابه الظروف والشخصيات بين الروائيين هو عامل التأثير الوحيد الذي أدى لتشابه انتاج خال مع كافكا. فالمتتبع لإنتاج خال السردي

---

[1] محمد الهويمل، عبده خال، " عبده خال: رأيت بعيني حدأة تخطف طفلاً... هل هذا من الغرائبية؟ جريدة الرياض، العدد ١٢٥٠٠ السنة ٣٨، الاربعاء ٠٤ رجب ١٤٢٣.

يلمح تأثره بغيره من الأدباء العالميين أمثال غابرييل غارسيا ماركيز وبورخيس. مما يدل على أن الكاتب قد بنى خلفية ثقافية من خلال قراءاته المتعددة لأبرز الأعمال العالمية المترجمة. مما شكل مخزوناً في لا وعيه يمدّه بكثير من المشاهد والشخصيات والأحداث.

ونضرب مثلاً لتأثره بالكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، في اعتماده على أحاديث الجدّات وحكايات القرويين في صياغة عالم سرده السحري الممزوج بالهم الاجتماعي. علاوة على استعارته لمجموعة من الأحداث الروائية والثيمات من ماركيز مثل حدث طيران الشخصيات التي وردت في رواية (مائة عام من العزلة)، حين عانقت بطلة الرواية ريميدوس ملاءتها وطارت في السماء[١] نجد مثل هذا الحدث في قصة عبده خال القصيرة (ماذا قال القميري) من مجموعة (الأوغاد يضحكون) التي تحكي عن انتفاخ شخصية القميري المشهور بالبذاءة والعدوانية، وتورمه تورمًا عجيبًا ينتهي بطيران جسده في الفضاء كالبالون أمام أعين المندهشين[٢]. وكذلك مشهد سريان الدم ليدل على جريمة القتل في رواية (فسوق) "كان دمها حبلًا طويلًا تعرج في كل الأزقة بحثًا عن قاتلها وحين تباطأ في جريانه، أوصلوا جثمانها إلى قبر غائر"[٣] يشابه مع ما جاء في رواية (مائة عام من العزلة)، حينما سرى خيط الدم من جثة خوسيه أركاديو الأول إلى أن وصل لأمه مجتازًا المنعطفات والشوارع، حتى دخل بيت عائلته متفادياً تلويث السجاجيد حتى دخل للمطبخ، لتنتبه إليه أورسولا فتتبعه لتجد جثة ابنها[٤]. كذلك خرافة ولادة ابن مشوّه بأعضاء حيوانية للزوجين اللذين تربطهما قرابة في مائة عام من العزلة وخوف أورسولا من أن تلد ابنًا بذنب خنزير "عظاءة إغوانا" لقرابتها من

---

[١] غابرييل غارسيا ماركيز، مائة عام من العزلة، ترجمة: صالح علماني، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ط١ ،٢٠٠٥. ص٢٨٩.

[٢] عبده خال، الأوغاد يضحكون، دار الرّيس، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م ، ص١١٠.

[٣] عبده خال، فسوق، بيروت، دار الساقي،٢٠٠٥، ص١٥

[٤]غابرييل ماركيز، مائة عام من العزلة، مرجع سابق، ص١٦٤-١٦٥.

زوجها خوسيه أوركاديو بوينديا[١] تكررت عند عبده خال في رواية (الموت يمر من هنا) "فقيل لها.. بينكما لبن، وسيولد لكما ابن له رأس حية، وحوافر نعجة"[٢]. فهذه الأمثلة وغيرها كثير، توحي بتأثر عبده خال بماركيز وغيره من الكتاب العالميين في بناء عوالمه السردية وتفاصيل أحداثها. وعلى الرغم من إصرار عبده خال على عدم حاجته للتأثر بهذا الكاتب أو ذاك في بناء عالمٍ غرائبي تربّى عليه هو شخصيًا[٣] إلا أننا نرصد كثيراً من نقاط الاتفاق بين خال وعدة روائيين، قد تكون قد تسربت بشكل غير واعٍ في فكر خال وأصبحت تشكل تجربة ذاتية يعتمد عليها الكاتب في إبداعه.

**ثانياً: ملامح كافكا في أدب عبده خال:**

**أ) التأثر الموضوعاتي:**

– العلاقة المتوترة مع الأب:

عكس كافكا صورة الأب الصارم القاسي الذي عانى منه في طفولته في مذكراته الشخصية (رسالة إلى الوالد) حين يقول "ولم أستطع أبداً أن أفهم انعدام إحساسك كلية إزاء ماكنت تسببه لي بكلماتك وأحكامك من ألم وعار" [٤] وفي سرده خاصة رواية (الانمساخ) التي تحول فيها غريغور سمسا إلى حشرة تحاول الهرب طيلة الرواية من مصير الانسحاق، حين ركز على دور الأب الذي كان مصمماً على سحقه "لم يكن ثمة جدوى من الركض فقد كان الوالد مصمماً على قصفه"[٥] فالأب يظهر استبداده تجاه غريغور بعد تحوله، خاصة في هذا المشهد حين يقوم الأب برمي التفاح على غريغور ليدفعه إلى العودة إلى غرفته. هذا المشهد يعبر

---

[١] غابرييل ماركيز، مائة عام من العزلة، مرجع سابق، ص٣٠.

[٢] عبده خال، الموت يمر من هنا، كولونيا، دار الجمل،٢٠٠٤ ، ص٣٣٣.

[٣] عبده خال، "ماركيز لم يدهشني لأن طقوس القرية فعلت ذلك قبله" تحرير خالد عويس، جريدة الزمان، العدد ١٢٧٥، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠٠٢م.

[٤] ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، مرجع سابق، المجلد ١، ص ٦١١.

[٥] فرانز كافكا، الانمساخ، ت ابراهيم وطفي، في فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد١، مرجع سابق، ص ٣٧١.

عن العداء الخفي الذي يكنّه الأب لابنه، حيث يرى في ضعفه فرصة للتعبير عن قوته واستبداده. والتفاح الذي ظل عالقاً في ظهر غريغور، والذي استمر يتألم منه حتى النهاية "لقد ظلت التفاحة إذ لم يجرؤ أحد على انتزاعها قابعة في لحمه كذكرى منظورة"[١] يمكن تفسيره كرمز للأذى العاطفي الذي يسببه الأب لابنه، فالتفاحة تمثل جرحًا نفسيًا يعاني منه غريغور طوال حياته، وهي تعبير عن عقدة الأب التي لم تُحل والتي خضع لها كافكا طيلة حياته.

علاوة على صورة الأب القاسي بتربيته الغاشمة التي شكّلت عائقاً أمام انسجام ابنه في أي عمل يترأسه مدير لأنه يذكره بسلطة الأب المكروهة، مع ابراز إحساس كافكا الداخلي باحتقار أبيه له، وخجله منه عبر شخصية الأب بالرواية وعلاقته بالبطل غريغور. حيث يعكس من خلال هذه العلاقة صورة الأب الذي يضع توقعات عالية على الابن، والتي لا يستطيع تحقيقها. هذا الفشل يخلق توترًا نفسيًا داخليًا في غريغور، حيث يشعر بالذنب والخزي بسبب عجزه عن أن يكون الابن المثالي. كما إن التحول إلى حشرة يصور هذا الفشل بشكل رمزي. فبعد التحول، يصبح غريغور عاجزًا عن تلبية توقعات العائلة لاسيما والده. مما يعمق شعوره بالعار والذنب تجاهه.

في مقابل الأب المتسلط الذي صورّه كافكا، عكس عبده خال جانباً آخر من توتر واختلال العلاقة مع الأب، تمثّل في سلبية دوره وغيابه في حياته الشخصية حيث يقول: "عشت طفولة وشباباً على أيدي نساء، فأنا لا أعرف وجه الرجل في حياتي، لم استظل تحت أوامره أبداً" [٢] وقد صوّر خال غياب دور الأب في حياة معظم شخوص رواياته، بل إذا كان له دور يذكر فغالباً ما يكون سلبياً محطّماً للابن. نجد هذا في رواية (الموت يمر من هنا، الطين، ترمي بشرر، فسوق). ففي رواية (الموت يمر من هنا) تبرز صور الأب المؤثر سلباً على حياة أولاده حينما فضل الهرب من بطش السلطة ومن مطاردة آثامه في الماضي متخلياً عن أولاده

---

[١] نفسه ، ص ٣٧٣.

[٢] عبده خال في طامي السميري، الرواية السعودية حوارات واسئلة واشكالات، مرجع سابق، ص٢٤٧.

ليواجهوا وحدهم تبعات تخليه عنهم في قصة الغلام موتان، وأمه رعنا اللذان اضطرا لمواجهة السلطة القاهرة المتمثلة في شخصية السوادي لوحدهم بعد غياب الأب. ويعكس خال الحيرة التي يتخبط بها الأبناء في سؤالهم الدائم عن اختفاء أبيهم وإحساسهم بالخذلان والخوف من مواجهة عناء الحياة لوحدهم.[١]

وفي رواية (الطين) تحتل شخصية (صالح التركي) وهو أب البطل مساحة واسعة من الرواية، حيث تحولت إلى بؤرة مركزية تناسلت من خلالها خيوط السرد التي تصل الماضي المؤثر بالحاضر المحكي الذي يجسد حياة البطل النفسية المضطربة، التي كان للأب دور كبير في خلقها. تجسد الشخصية مأساوية فكرة أن الذي يستغرق في حياته في طلب شيء ما ساعياً إلى تحقيقه، مهملاً جوانب حياته الأخرى؛ فقد حكم على نفسه بالموت. فالأب يسعى جاهداً لأن يحقق حلم السيادة طمعاً في الهروب من واقع أصله المتواضع التركي في ظل وجوده في مجتمع قبلي عنصري، حتى تسبب حلمه هذا بموته. وقد ركّز عبده خال على شخصية الأب لينقل المعنى الفلسفي للموت داخل الحياة، وقد حرص النص على رسم هذه الشخصية رسمًا دقيقًا من جميع أبعادها النفسية والاجتماعية لتؤدي هذه الفكرة "أنا وأبي نتبادل الموت. هو ميت خارج حلم لم يتحقق، يبحث عن زمن خصب ليزرع نفسه كرجل له نفوذ وسلطة، وفي كل محاولاته للوصول للوهم الذي عشعش في مخيلته يسقط من حياته غير المستطابة ويواصل حياة ميتة خارج أحلامه [...] نحن لا نحيا في الحياة بل نموت فيها".[٢] وتوضح الرواية الآثار السلبية المدمرة لشخصية الأب المسيطرة التي تسحق وتشوّه ذهنية أبناءه إذا كانت غير سوية، فعقدة النقص التي عانى منها الأب، انعكست سلباً على احساس ولده بعبثية وجوده. والأب يبرز في الرواية بصفته سلطة قامعة ومؤذية للبطل الابن، تحاول اخضاعه والسيطرة عليه لتحول الابن في النهاية إلى انسان مستلب فاقد للحرية. وهو ما يمثل –برأينا– إسقاطاً نفسياً على عقدة "كرونوس" التي تعني "اضطهاد الأب لأولاده وسحقهم بشخصيته وهي الأب الذي يأكل أولاده أو

---

[١] عبده خال، الموت يمر من هنا، مرجع سابق، ص١١٩–١٢٢.

[٢] عبده خال، الطين، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣، ص٢١٦.

يخصيهم رمزيًا"[١] ويبرز هذا من خلال اشارات واضحة في مشهد الختان الحقيقي للبطل بعد بلوغه سن الثانية عشر والذي كان فيه الأب غير مبال بمصير ابنه[٢]. وفي رواية (فسوق) صورة سلبية أخرى للأب الذي تعاني ابنته عواقب اخطائه القديمة تبعاً لقانون (كما تدين تدان)، فالرواية تحكي شؤم الآباء على الأبناء ودفعهم ثمن آثامهم الماضية " كل شيء سلف ودين حتى دمعة العين"[٣] " يسجل القدر الأحداث بعناية ولا يترك أحداً يفلت من فعلته. أبوها قاد امرأة للقتل وجاء دور الاقتصاص منه بابنته"[٤] فشخصية (محسن الوهيب) أب البطلة الذي تسبب عشقه القديم لجليلة في هدر دمها، كما ساهم تخاذله في الدفاع عنها بعد مخالفته للأعراف الاجتماعية في ذبحها على يد أخيها؛ نالت ابنته التي أسماها على اسم حبيبته القديمة جليلة نفس المصير بعد أن اقترن اسمها بسوء السمعة نتيجة افتضاح أمرها بعد القبض عليها في خلوة مع محمود، الذي رفضه أبوها نتيجة تعصبه القبلي. وكما عانت جليلة الأولى من الموت الحقيقي عانت جليلة الابنة من الموت المعنوي بعد تحول الحياة إلى زنزانة بفعل الأب والإخوة. بل انه بعد موتها الحقيقي لم تنج من العقاب فانتشرت شائعة هروبها من قبرها بعد اختفاء جثتها بعد دفنها. وتبدو شخصية الأب في الرواية متخاذلة ضعيفة منهزمة للضغط الاجتماعي الذي سحق ايمان الأب الكامل ببراءة ابنته مثل براءة حبيبته السابقة، إذ طفق يردد "من يوصلني إلى رقبتها".[٥] وهو الضغط الذي جعل الأب يؤمن بأن ابنته تظاهرت بالموت، لتفر من قبرها مع حبيبها. لذا ظل الأب متحيراً بين المنطق الذي يدعمه معرفته لابنته " كانت والله طاهرة"[٦] وبين المجتمع الذي أشاع النميمة ووصم ابنته بالعار.

---

[١] روجر موشيلي، العقد النفسية، ترجمة: وجيه أسعد، دار البشائر للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٩٧م، ص٣٧.

[٢] عبده خال، الطين، مرجع سابق، ص١١٨–١١٩.

[٣] عبده خال، فسوق، مرجع سابق، ص٢٦.

[٤] عبده خال، فسوق، مرجع سابق، ص ٤٠.

[٥] عبده خال، فسوق، مرجع سابق، ص ٢٣.

[٦] عبده خال، فسوق، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

وتتعدد صورة الأب السلبية في عدد من روايات عبده خال، مثل (ترمي بشرر، نباح، مدن تأكل العشب) وغيرها. إذ غالباً ما يعكس خال الأثر السلبي للأب المسيطر، أو المتخاذل على جميع الأسرة من أبناء أو زوجة. إذ يتبنى خال موقفاً مناصراً للمرأة، يتبدى في جعلها المتحملة دوماً مسؤولية الأسرة مع لوم الرجل المستمر لها " كان ينهر أمي دائماً من تخاذلها وتساهلها معي. في الليل يتحول إلى وحش كاسر ينعتها بأوصاف بذيئة، وفي أحيان كثيرة يمد يده إليها بينما أظل أنظر إليهما بجزع"[١] كما يبرز خال قلة الخيارات المطروحة أمام المرأة الأم أو الأبناء في التصدي لسلطة الأب التي كفلها له المجتمع حيث تنتهي المرأة إلى نوع من الخنوع والاستسلام حيث تقاسي لوحدها عواقب تربية أولادها "أمي تغطت بالتراب في أول عام سجنت به، وأبي أنسته امرأته الثانية حياته الأولى، وعندما خرجت علمت أنه تبرأ مني وأن اثنتين من أخواتي ذهبتا مع زوجيهما إلى مدن في أطراف البلاد، وبقيت الصغرى خادمة لزوجة أبيها". [٢]

وبالمقارنة بين مؤلفات الروائيين ( كافكا وخال) نستطيع الاستنتاج أن الأب لديهما يعدُّ سلطة قاهرة يجب تحديها والانعتاق من أسرها. فكافكا يعتبر أن الأب سلطة عليا لا يمكن للإنسان العيش بحرية وكرامة دون التي ينبغي التخلص من ضغطها، ليقرر مصيره طبقاً لطبيعته وميوله وأهدافه [٣] وفي المقابل يمكننا اعتبار تمثيل الأب السلبي في روايات خال صورة من صور التصدي للسلطة الذكورية التي يرى أنها طاغية في الثقافة المجتمعية؛ لذا نلمح في رواياته الأم المغلوبة على أمرها أو الزوجة المقهورة، أو الابنة التي تعاني من تضييق ذكور العائلة. وبشكل عام، نرى القضايا النسوية مطروحة غالبا في روايات عبده خال. وهذا يسلمنا للحديث للملمح الثاني من ملامح كافكا في أدب خال وهو ضغط السلطة، والاحساس بالعزلة والتشوش.

---

[١] عبده خال، الطين، مرجع سابق، ص١٨١.

[٢] عبده خال، الأيام لا تخبئ أحداً، منشورات الجمل، المانيا، ط١، ٢٠٠٠، ص١٣٥.

[٣] للمزيد: ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٦٩٩– ٧٠٩.

– قهر السلطة وفقدان القيمة والعزلة والتشوش:

مر بنا في التمهيد النظري الحديث عن النزعة الفلسفية السوداوية لكافكا الذي صور شخوصه مطاردة بإحساس الظلم والقهر، إما من سلطة خارجية أو من إحساس وجودي غير مفسر؛ سببه الخطيئة الأولى التي تحمل الانسان وزرها، وظلت تطارده دون أن يعلم خطؤه الحقيقي كما يفسّر طه حسين: "فأكبرُ الظَّنِّ أنه إنما أراد إلى أنْ يُصَوِّر الإنسان الخاطئ الذي لا يشك في خطيئته، ولكنه لا يَعْرِف طبيعة هذه الخطيئة، ولا يعرف كيف دُفع إليها ولا كيف تورط فيها، ولا يعرف كيف يخلص منها، ولا أمام من يستطيع أن يُحاول الدفاع عن نفسه"[١]

ونلمح في روايات مثل (المحاكمة، القلعة) لكافكا انعكاساً لأثر السلطة القامعة على شعور الفرد وإحساسه بانعدام القيمة والتشوش. فبطل المحاكمة عانى من توجيه تهمة غامضة له وناضل في الدفاع عن نفسه رغم عدم معرفته بذنبه وانصاع ذاهلاً لممثلي السلطة، ثم انتهى ميتاً ينظر لمطارديه (مثل كلب!).[٢] مما يشي بفقدان قيمة الانسان أمام السلطات الضاغطة أيا كان نوعها. أما في رواية (القلعة) فحاول بطلها (ك) مقابلة السلطة التي تحكم القرية التي يعمل فيها مساحاً للأراضي إلا أن محاولاته باءت بالفشل. وكان يشعر بضغط السلطة من خلال اجراءاتها لا من خلال كونها واضحة أو مفهومه مما زاد بشعور التشوش لديه "إن التعامل المباشر مع السلطة لم يكن صعباً للغاية، حيث كان على السلطة مهما كان يمكن أن تكون منظمة أيضاً خير تنظيم، أن تدافع دائماً باسم سادة بعيدين غير مرئيين عن أشياء بعيدة غير مرئية، في حين أن ك. كان يكافح من أجل شيء قريب ... وليس وحده كان يكافح من أجل نفسه، بل على ما يبدو قوى

---

[١] طه حسين، ألوان، مرجع سابق، ص ٢١٨.

[٢] فرانز كافكا، المحاكمة، ترجمة: ابراهيم وطفي، في، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد ٢، مرجع سابق، ص٢٦٦.

أخرى أيضا لم يكن يعرفها لكنه استطاع أن يؤمن بوجودها نتيجة اجراءات السلطات"[١] .

وتعكس روايات كافكا غالباً إحساس الشخوص بضغط السلطة التي تعددت تفسيرها من قارئي أدب كافكا. فبعضهم فسرها بالحياة الرأسمالية التي يتضاءل فيها الفرد وتنتفي قيمته ويشعر بالتشوش والعزلة في حياته المدنية الحديثة. وبعضهم اعتبرها تعبيراً عن ضغط سلطة الأب الذي طالما عانى منه كافكا ونقل معاناته في يومياته. وبعضهم فسرها تفسيراً وجودياً، يقترن بالتعبير عن عبثية الحياة وضياع الهدف فيها كما مر بنا في المبحث الخاص بعبثية وسوداوية أدب كافكا.

وأبرز ما عرف عن كافكا هو أسلوبه في التعبير عن أثر تلك السلطة، من خلال عكس الحياة الداخلية لأبطاله. والاعتناء بالمنولوج الداخلي حتى اعتبر كثير من النقاد أدب كافكا أدباً سيكولوجياً "فالضغوط المختلفة، التي عادةً ما تحيط ببطل كافكا وتضعه في حالة خوف أو اغتراب، تقوده إلى الشعور بالعيش في عالم معادٍ يجد نفسه فيه مطارداً من أناس أو سلطة تمارس عليها اضطهاداً وجوراً. ومن خلال هذا المحور مارس كافكا تأثيرات في الأدب العربي الحديث، حين غزت كتابات الوجودية واللامعقول الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية"[٢]

نجد هذه الثيمة السيكولوجية نفسها في قصص عبده خال القصيرة التي كانت الرمزية والتعبير النفسي فيها أشد تركيزاً من الروايات. مثل قصة (الإرث) من مجموعة (لا أحد)، التي تعبر عن العجز أمام سلطة العادة وسلطة الأسرة المتمثلة بالسلطة الأبوية، ولا تقدم ذلك على نحو واضح، بل تعيد صوغ الرمز الذي يحوّل الموقف الواقعي البسيط إلى ملمح رمزي عميق الدلالة.

---

[١] فرانز كافكا، القلعة، ترجمة: ابراهيم وطفي، في فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص ٥٦.

[٢] نجم عبد الله كاظم، كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد، مرجع سابق ص ٢٢٧.

وتتميز قصة (الإرث) بقدرتها على رسم لوحة قصصية متكاملة ترمز إلى قسوة الموروث الأبوي الذي يسيطر على الأبناء. عبر تصوير ساخر لحالة إنسانية حملت الإرث الأسري من الأب أولاً، ثم الأم، والذي تلخص في عبارة واحدة تقول (اللي يطالع لفوق تنكسر رقبته). ويحرص الابن على تطبيق الوصية بحذافيرها "منذ ذلك العهد البعيد وأنا أحرص أشد الحرص على السير برقبة مطأطأة [...] ثابرت على إبقائها مسبلة حتى أصبحت مدلاَّة على صدري كقلادة ضخمة، وبفعل هذه العادة التي اكتسبتها بالتقريع والتذكير أصبحت لا أرى شيئاً" (١). ويمعن القاص في تهويل سمة الانحناء فيجعل البطل دائم الانكسار والخنوع، لا يحس بما حوله نتيجة تحديقه الدائم في الأرض، ولا يستطيع رفع رأسه لرد الاعتداءات المتكررة الساخرة من انحنائه، ويعتبرها محاولة دنيئة لنزع إرثه. حتى إذا ما أحس البطل بالرغبة في رفع رأسه بعد نهوض قلبه من الانحناء، وتشوقه للنظر إلى (صاحبة العطر المغري، والتحية الصباحية) لم يستطع. وتبلغ المفارقة حدها حين يذهب للطبيب الذي يكشف له أن عظام رقبته قد أصابها الضمور من طول مدة طأطأتها. وهكذا يتحول الإرث الغالي الذي حرص الابن على "أن لا تكسره الرغبات" إلى لعنة تطارده مدى الحياة. ورمز . الرقبة المحنية . الانحناء المعنوي المتمثل بالخضوع والخنوع، الذي يصبح عادة متوارثة تملك صاحبها بسلطة قاهرة لا يستطيع تجاوزها ولو حاول "حاولت أن أرفع رأسي فعجزت / استعددت لرفع رقبتي، انتابني عجز مرير" ولا شك أن الخنوع والانكسار أمام أي سلطة سواء كانت سلطة العادات البالية أم سلطة القهر إذا تفشى في المجتمعات، سيصبح إرثاً أبوياً يصعب على الأجيال الخروج منه.

وضغط السلطة على الشخصيات الذي ينتهي بإحساسها بالتشوش وعبثية المحاولة يتبدى في رواية (الموت يمر من هنا) الذي لم يستطع أي من أبطالها الذين روو قصة كفاحهم ضد السوادي -الذي يمثل السلطة- من الانتصار. وانعكس شعورهم بالإحباط الى التعلق بخرافة أبي قضبة الذي آمنوا بأنه سيخلصهم من الجور

(١) عبده خال: لا أحد، الحضارة العربية، مصر، ط١، ١٩٩٠م ص٤.

والظلم. وفي أغلب روايات خال مثل (نباح، فسوق، ترمي بشرر) نجد استمرار الظلم واليأس الذي ينتهي اليه القارئ في ظل غياب النهايات السعيدة.

– المسخ والعبث الوجودي:

تعتبر رواية كافكا (الانمساخ) من أبرز الروايات التي أثرت في الأدب العالمي بشكل عام والأدب العربي بصورة خاصة. وهي تبدأ بلحظة استيقاظ البطل غريغور سامسا واكتشافه انه تحول إلى حشرة ضخمة. يواجه فجيعة العائلة التي فقدت معيلها الوحيد بعد تحوله لمحتاج للرعاية مما أفقده قيمته الضئيلة أصلا، والتي لم يستشعرها سابقاً حينما كانت الأسرة محتاجة له. وبالتالي حاول أفراد الأسرة خاصة الأب التخلص منه باعتباره مشكلة تقض مضاجعهم وانتهى الأمر بنجاحهم بعد أن قرر غريغور تجويع نفسه حتى الموت، مبرزين أقسى أنواع التخلي والجحود الإنساني وغرابة العلاقات الإنسانية.

ويبدو تأثر عبده خال في رواية (الطين) برواية كافكا الشهيرة (الانمساخ) في الفكرة العامة حيث تدور كلاهما حول فكرة تحول البطل عن صفته الآدمية وتعذر تواصله مع المحيطين. مع استعراض أسباب هذا التحول وردها إلى تراكمات داخلية بسبب العلاقات الأسرية والإنسانية، التي سحقت إحساس المتحول بآدميته. وتتوزع رواية كافكا (الانمساخ) ثلاثة موضوعات أساسية نجدها حاضرة في رواية (الطين) وهي: الانمساخ الانساني، فقدان القيمة والاحساس بالعزلة، عبثية الوجود.

في ثيمة المسخ مثلا، نجد مقابل تحول بطل كافكا الى حشرة، تحول بطل رواية (الطين) إلى شبح لا ظل له يصر دائماً على أنه عائد من الموت. وتشترك الروايتان في فقدان البطل الصفة الآدمية ليمسخ الى حشرة أو إلى شبح مع إبراز ضياع العلاقات الانسانية، التي مسخت هي الأخرى ليشيع الاستغلال الأسري، واللا إنساني نساني للبطل في كلا الروايتين. فبطل كافكا كان المعيل الأول لعائلته إلا أن هذا لم يشفع له، ليستشعر التضاؤل وفقدان القيمة التي تحول معها إلى مجرد حشرة لم تثر شفقة العائلة أو تعاطفهم وهو ما تنقله ردّات فعل الأب والأخت والخادمة، بالذات حينما حاول الأب قصم غريغور بالتفاحة. أما الأخت

فتضاءل اهتمامها بغريغور شيئاً فشيئاً حتى استسلم للموت. ونجد مثل هذه الحالة لدى بطل (الطين) الذي تعرض للاستغلال الجنسي بعد تحوله لشبح من المرأة التي ساعدت أمه على ولادته، والتي استغلت معرفتها بطبيعته الواقعة بين الحياة والموت لتمعن في الاستغلال. كما تشترك الروايتان في إبراز أثر السلطة الأبوية الغاشمة التي أدت إلى فقدان البطل قيمته الإنسانية وبالتالي تحوله إلى مسخ.

أما في ثيمة فقدان القيمة والاحساس بالعزلة، تجسدها رواية (الانمساخ) حين يفقد غريغور بعد تحوله القدرة على التواصل مع عائلته رغم أن عقله لا يزال واعيًا. هذا الفقدان للتواصل يمثل انقطاعًا عن العالم المحيط به. وهو رمز للغربة والعزلة الوجودية، حيث يجد الفرد نفسه غير قادر على التواصل مع الآخرين أو إيجاد معنى في وجوده. "أزمة وجود، وتشير في وضوح إلى انقسام يقع نتيجة لتراكمات فيفصل بين الوعي واللاوعي [...] ومن خلال التحول ومبدؤه الأساسي هو الاغتراب عن الذات يكون هذا الانقسام هو المبدأ الذي يقوم عليه بناء القصة"[١] وتشترك رواية (الطين) في طرح إشكالية اغتراب الذات وانقسام الوعي نفسها. كما إن المسبب للإحساس باغتراب البطل وفقدانه القيمة والعزلة في الروايتين واحد. ففي كليهما تبرز قسوة الأب وضغطه باعتبارها منشأ إحساس الابن– البطل بالاضطهاد وانعدام القيمة والعزلة كما سبق أن عرضنا في مبحث العلاقة المتوترة مع الأب[٢].

بوجه عام، الروايتين تجسدان إحساس الابن بسطوة والده إلى درجة تسلمه إلى حالة من الاستلاب والانكسار الذي يحيله عن صفته الآدميه ليتحول إلى حشرة تافهة مستقذرة في (الانمساخ) أو إلى انسان ميت يعيش بين الأحياء على صورة شبح في (الطين). وكلا المسخين، قد فقدوا القدرة على التواصل مما أدى بهم إلى العزلة، فغريغور فقد صوته الذي تحول إلى قرقعة وصرير كغيره من الحشرات مما أفقده القدرة على التواصل مع أفراد أسرته، وفي المقابل شبح (الطين) فقد القدرة

---

[١] الدسوقي فهمي، الدودة الهائلة فرانس كافكا: الأعمال الكاملة، ترجمة وتقديم: الدسوقي فهمي، آفاق للترجمة– الهيئة العامة لقصور للثقافة، ط١، 1997، ص ٩.

[٢] راجع البحث في محور العلاقة المتوترة مع الأب.

على التواصل مع غيره ما عدا الطبيب النفسي لأنه شبح شفاف لا ظل له ولا صوت. والتواصل الوحيد الذي قام به البطلان في الروايتين هو التواصل مع أفكارهم الذاتية وتفسيراتها للمحيط مما عزز شعور الوحدة والانعزال وخدم الجو النفسي الداخلي فيهما.

أما ثيمة العبثية الوجودية، فالروايتين تعكسان صوراً عديدة لها وهي في رواية (الانمساخ):

- التحول غير المبرر :التحول المفاجئ لغريغور إلى حشرة يحدث دون أي سبب واضح. هذه اللحظة العبثية تمثل نقطة الانطلاق لواحدة من أهم سمات الأدب العبثي وهي التغيرات المفاجئة وغير المفهومة. لا يقدم كافكا أي تفسير للتحول، مما يخلق شعورًا باللا معنى والعبثية في العالم.
- العجز عن الفهم :عائلة غريغور لا تستطيع فهم وضعه أو التعاطف معه بشكل كامل، مما يزيد من شعور العبثية، حيث يكون الشخص غريبًا في عالم لا يفهمه ولا يفهمه الآخرون.
- البحث عن المعنى :الرواية تسلط الضوء على عبثية الوجود والبحث عن المعنى في حياة يطغى عليها العبث. غريغور، الذي كان يعتبر عمله محور حياته، يجد نفسه فجأة في وضع لا يمكنه فيه العمل أو أداء دوره الاجتماعي، مما يدفعه للتساؤل عن قيمة وجوده.
- العزلة الوجودية :التحول يجبر غريغور على العيش في عزلة تامة عن عائلته والعالم. هذه العزلة تعكس الوجودية، حيث يشعر الفرد بالغربة والانعزال في عالم لا يمنحه معنى واضحًا. مما يسلمه للإحساس بالاغتراب في عالم يرفضه. فالتحول الى كائن مشوه وغير مرغوب فيه كان بسبب عدم ملاءمته للمجتمع. هذا يعكس الشعور الوجودي بالانفصال عن العالم والبحث عن هوية ومعنى في وسط واقع غير عقلاني.
- اللامبالاة المجتمعية: تعامل العائلة مع غريغور بعد تحوله يعكس لامبالاة المجتمع تجاه الأفراد الذين لا يتماهون مع المعايير الاجتماعية أو الذين

يصبحون عبئًا عليه. هذا يمكن اعتباره رمزًا للوجودية، حيث إن المجتمع لا يعير أي اهتمام للمعاناة الفردية إذا لم يكن للفرد دور فعال فيه.

أما رواية (الطين) فتعكس صوراً متعددة لمثل عبثية كافكا الوجودية ويمكن تلخيصها في:

- الحروب بوصفها معادلاً عبثياً: عرضت الرواية معاناة صالح التركي أب البطل في حرب فلسطين في ظل تخبط الأوامر العسكرية التي وجهت للجيوش المشاركة في تجسيد لعبثية الواقع التي تكمن في أن الشخصيات تجد نفسها في ظروف لا يمكنها تغييرها أو الهروب منها، مما يعزز الشعور باللاجدوى والعجز.
- البحث عن المعنى في عالم بلا معنى: الشخصيات الرئيسة في الرواية (الأب الطموح صالح / والابن الشبح) تحاول العثور على معنى لحياتها في ظل هذا الواقع العبثي، لكن كل محاولاتها تبدو عقيمة بلا طائل، والأحلام والطموحات المجهضة للشخصيات تعكس محاولاتها للبحث عن معنى في حياتها، إلا أن الفشل المتكرر يؤكد على عبثية هذا البحث.
- العزلة والاغتراب الوجودي: وهو ما يتجلى بشكل واضح في رواية (الطين) من خلال الشخصيات (الأب المتعلم وأهالي القرية الجهلة) التي اصطدمت مكوناتها الثقافية بين الجهل والعلم مما عكس معاناة الاغتراب ليس فقط بسبب الفقر والظروف المعيشية القاسية، ولكن أيضًا بسبب الافتقار إلى التواصل الإنساني العميق .العلاقات بين الشخصيات تعكس حالة من الانفصال العاطفي والروحي، مما يعزز الشعور بالعزلة في عالم لا يهتم بأحوالهم. كما أن تحول البطل الى شبح بعد مروره بتجربة العودة من الموت يعكس اغترابه عن العالم المادي والمجتمع. الشبح هو كائن بين الحياة والموت، يعاني من العزلة والعدم. هذه الحالة بين الواقع والخيال تمثل تجربة الوجودية حيث يشعر الفرد بأنه عالق في عالم غير مفهوم وغير عقلاني.

– العودة إلى الحياة بعد الموت بوصفها فكرة عبثية: صورة البطل الذي يعتقد أنه عاد إلى الحياة بعد الموت تعكس عبثية الوجود. في الفلسفة العبثية، يُنظر إلى الموت كحدث نهائي بلا معنى. وعودة البطل عديم الاسم إلى الحياة وتعامله مع هذا الواقع الجديد يظهر كيف يمكن للوجود أن يكون غير منطقي ولا معنى له؛ فعدم وجود اسم للشخصية الرئيسية يزيد من الشعور بالاغتراب والعدم، حيث يبدو كأنه فقد هويته، مما يعزز الشعور باللاجدوى من عودته للحياة.

وبالرغم من التشابه الموضوعاتي لدى الروائيين، إلا أننا لابد أن ننتبه إلى حقيقة مفادها: أن فرانز كافكا وعبده خال هما أديبان من ثقافتين مختلفتين تمامًا، ولكل منهما أسلوبه الخاص وفلسفته. فكافكا يتميز بأسلوب سردي يخلق جوًا من الغموض والقلق، مع استخدام السخرية والرمزية لإيصال أفكاره. وكتاباته عادة ما تكون مشحونة بالانفعالات والمشاعر التي تعكس معاناة الفرد في مواجهة قوى غير مرئية أو مفهومة. وهو يعبر عن رؤيته الوجودية التي تميل إلى العبثية واللاجدوى، مع تركيزه على معاناة الإنسان في عالم يفتقر إلى المعنى. كما تتميز رواياته بالعمق الذي يجعلها مفتوحة للتفسير –كما مر بنا في المدخل النظري– إلا أن الدراسات التي تناولت تحليل أعماله تتفق على أن لغز كافكا يكمن في رؤيته الخاصة للعالم، يقول بيرنهايمر: "أسلوب كافكا مرتبط برؤية للعالم تشوه الواقع من خلال استجابته للهواجس الخاصة، والأحلام، ومشاعر الذنب، وما إلى ذلك". [1] ولا يمكن انكار الجانب الاجتماعي لكتابته إلا أننا ايضاً لا نستطيع تناول أدبه من خلال هذا المنظور فقط.

أما عبده خال، فيتميز بأسلوب واقعي يمزج بين السرد التقليدي والحديث، مع استخدام لغة غنية بالتفاصيل والتشبيه. كما يميل إلى التصوير الدقيق للحياة اليومية والمشاكل الاجتماعية بشكل يتيح للقارئ فهم الأبعاد العميقة لهذه القضايا. ورؤيته مرتبطة أكثر بالتحليل الاجتماعي والاقتصادي، مع تركيز على الظروف

(1) Bernheimer, Charles. *Flaubert and Kafka: Studies in Psychopoetic Structure.* New Haven and London, Yale University Press, 1982.

التي تؤدي إلى الاضطهاد والفقر. ويمكننا القول إن همّ كافكا كان وجودياً إنسانياً، أما عبده خال فحمل الهم الاجتماعي في كل رواياته.

ب) **التأثر البنائي:**

ركزت معظم الدراسات العربية على تأثير كافكا الموضوعاتي على الأدباء العرب. ودارت معظم البحوث على فكرة المسخ، الاغتراب، العبثية والضياع، صراع الإنسان المعاصر الوجودي، ضغط السلطة وغيرها. إلا أن قلّة من الدراسات حاولت تلمّس تأثير كافكا الفني في بناء الرواية لدى الأدباء العرب مما دفع بالباحثة تكنيك اكرام إلى لفت النظر في بحثها بعنوان (الحضور الكفكاوي في النقد العربي) إلى عدم وجود دراسات كافية لبحث هذا الجانب مبررة بذلك عدم تضمينه في البحث[١]. وفي الأسطر التالية نحاول تلمس أثر كافكا في بناء الرواية لاسيما بناء الحدث الكابوسي في إطار الواقعية السحرية، تيار الوعي، رسم الشخصيات مبرزين الجوانب التي انطبعت فيها روايات خال بالطابع الكافكاوي.

- **الواقعية السحرية والمشهد الكابوسي في روايتي (الانمساخ) لكافكا و(الطين) لخال:**

تنتمي روايتي (الانمساخ) لكافكا و(الطين) لخال لتيار- الواقعية السحرية- التي ترتكز على التعامل مع الخيال بصفته واقعاً، وهي كما يعرفها دليل أكسفورد للأدب الإنجليزي "نمط من القصص الحديثة التي يختلط فيها الواقعي الذي يمكن تمييزه، بغير المتوقع المتعذر تفسيره. كما تمتزج فيها الأحداث الأسطورية والخرافية بالوقائع اليومية في نمط متجاور أشوبه ما يكون بنمط الفسيفساء المتغيرة الأشكال".[٢]

---

[١] تكنك إكرام، الحضور الكافكاوي في النقد العربي. مرجع سابق، ص ٣٧.

[2] Birch, D.(2009). Magic realism. In The Oxford Companion to English Literature: Oxford University Press. Retrieved 19 Apr. 2016, from http://www.oxfordreference.com.ezproxy1.library.usyd.edu.au/view/10.1093/acref/9780192806871.001.0001/acref-9780192806871-e-4765.

وكلا الراويتين، تتعاملان مع الحدث الخارق واقعياً. فغريغور سمسا رغم حدث التحول لحشرة، يحاول تأمل نفسه بتفحص دونما ذعر، كما يحاول من خلال تفكيره التعامل مع الحدث بعقلانية. وتعكس مشاهد محاولته مغادرة السرير والتفكير في ركوب القطار وفتح الباب لعائلته متسائلاً إن كانوا سيذهلون أو يتعاملون مع حدث تحوله بهدوء– أسلوب الواقعية السحرية التي لا تعتبر الحدث الخارق خارقاً، بل تمزجه بمنطقية ليتساوى مع واقعية الحدث العادي. أما بطل (الطين) فيحاول اقناع المحيطين بحقيقة عودته من الموت ويسوق الدلائل المنطقية لوجود حوادث مماثلة، كما روت الكتب الدينية. ويحاول من خلال زيارة الطبيب النفسي إيجاد الحل لحالته، مصراً على رواية قصة حياته في القرية ولحظة موته.

كما تختلط عوالم الحقيقة والخيال في الروايتين، فبطل كافكا يستيقظ من كابوس مخيف إلى معايشة كابوس حقيقي في الواقع المعاش الذي ظل يقاسي منه الخوف في ظل تقبّل الأسرة لما أصابه ومحاولتها تخفيف آثار الفاجعة. أما في (الطين) فتمتزج خيالات الدكتور النفسي مع حقيقة المريض الذي يعالجه والذي نظنه الطبيب نفسه مما يدفعه للرحيل الى القرية المذكورة في أحاديث المريض ليتتبع حقيقة صحة الحياة الواقعية التي يحكيها البطل (الحي/ الميت) ويكتشف صحة وجود الشخصيات لاسيما الأب المؤثر.

وتتشابه الروايتان بنائياً في جوهما العام الذي يتبدى في سرد الأحداث بتقنية (تيار الوعي) التي تستخدم المنولوج الداخلي "الذي يمثله عدم الاهتمام بتدخل المؤلف، وعدم افتراض أن هناك سامعاً [...] لا يفترض وجود سامع [لأن ] الشخصية لا تتحدث إلى أي أحد داخل المنظر القصصي"[1] إذ تركز الروايتان على الحديث النفسي الدائر في عقل الشخصية الرئيسة التي تعرض من زاويتها الأحداث فلا يتلقى القارئ سوى صوت البطل وتفسيره وسرده للأحداث دون أن يكون للشخصيات الأخرى دور ما عدا انعكاسها الذي

[1] روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم: محمود الربيعي، دار غريب، مصر، ط١، ٢٠١٥، ص٦٠.

يحكيه البطل. وهذا بدوره قد أثّر على سير الأحداث وطريقة تفاعل الشخصيات معها، وأوقع القارئ في حيرة إذ لا يستطيع أن يجزم أن هذه الأحداث وقعت بالفعل أم أنها مجرد هلاوس في ذهن الحاكي. كما ساهمت تقنية تيار الوعي بمساعدة الشخصيات على طرح أسئلتها الوجودية التي تعكس حالات اليأس والقهر والشعور بالضياع.

كما يظهر تأثر عبد خال بالبناء الكابوسي الذي اشتهر فيه كافكا الذي يصوغ سرده على هيئة أحداث ورؤى تنتمي إلى عالم مظلم فأحداثه "حين روايتها بواسطة النثر العادي لحياة اليقظة، تخلق تماما لدينا هذا الاحساس بذوبان العقلانية حيث يغدو الواقع حلماً والحلم واقعاً والذي هو ميزة الغرابة المقلقة"[١]

والكابوس في تعريفه الأكثر شيوعًا هو حلم يثير مشاعر الخوف الشديد والرعب والضيق. وعند استخدامه مجازيًا، يشير الكابوس إلى حدث، أو موقف، أو حالة داخلية، أو خارجية لها طابع الحلم المرعب. أما البناء الكابوسي فنقصد فيه استثمار عوالم الكابوس المفزعة لبناء الحدث بتراكمية ضاغطة تحبس أنفاس المتلقي وتثير الفزع والترقب في نفسه. ونجد البناء الكابوسي في جميع مشاهد غريغور ينبع من المشهد الذي يثير غرابة مقلقة أو في المشهد الذي تتراكم فيه التفاصيل الكثيرة ليتحول إلى حدث مفزع كما يحدث في الكابوس الذي يراه النائم.

ومشاهد الغرابة المقلقة كثيرة في الرواية ونذكر منها على سبيل المثال: مشهد قلق العائلة من خلف باب غرفة غريغور الذي اعتاد أن يغلقه على نفسه، ومحاولته للتواصل معهم من خلال الصوت. إلا أنه اكتشف أن صوته تحول إلى صوت حشرة بقرقعة مخيفة. وحينما تساءلت الأم عن الصوت القادم من الغرفة إن كان هو غريغور يقتحم المشهد تصريح كبير الموظفين" كان هذا الصوت صوت حيوان"[٢] ليثير تلك الغرابة والاحساس بالقلق. يتلو هذا مشهد فتح غريغور للباب

---

[١] Selma fraiberg: kafka et le reve, في : رضوان ظاظا، الحلم والواقع عند فرانز كافكا وزكريا تامر، المعرفة، س ١٧ ، ع ٢٠٣، ١٩٧٩، ١٤٧ – ١٦٠ . مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/362722

[٢] فرانز كافكا، الانمساخ، مرجع سابق، ص٣٤٠.

الموصد بفكيه متخيلاً تشجيع العائلة ومناوراته بتفاصيل صغيرة محتشدة تشبه تقطعات الحدث المشحون في الكابوس. وحين فتح الباب واجه صدمة عائلته بتحوله.

كما تكثر المشاهد التي تتنامى فيها التفاصيل الصغيرة لتتحول إلى مشهد يثير الرعب، في مشاهد غريغور مع الأب والتي خُتم فيها القسمين الأول والثاني من الرواية. إذ تبدأ المشاهد بداية بسيطة يكون التركيز فيها على دواخل غريغور الذي يحاول التأقلم مع جسده الجديد ويتعلم التنقل في البيت بسهولة، إلا أن الأب الذي يقتحم المشهد بعصاه التي تضرب الأرض يثير في المشهد القلق. ويتكثف هذا القلق حينما يصف كافكا مشاعر التوجس والقلق في داخل غريغور وهو يتأمل العصا خائفاً أن تقصم ظهره. أو يتأمل حجم حذاء الأب الضخم، ثم يسمع الفحيح الذي يصدره الوالد مفقداً غريغور صوابه. وكلها تفاصيل صغيرة تتوالد في المشهد لتشحنه بجو الرعب وتولّد الغرابة المقلقة في المشهد. وتتكثف مجريات المشهد لتتحول إلى رعب حقيقي، حينما يحاول غريغور مدفوعاً بخوفه من الأب الذي يهشه بالعصا ليدخل غرفته فيحاول تجاوز الباب الذي رفض الأب فتحه بصورة كافية لمرور جسده الحشري، مما انتهى بخدش جانبه وترك علامات ولطخ بشعة على الباب الأبيض، ليفقد السيطرة على جسده وتحوم أرجله في الهواء. وضاعف هذا الرعب دفعة مفاجأة من والده الذي فقد صبره ليعيده بقسوة إلى وسط غرفته صافقا الباب بعصاه[١].

يضاف إلى ذلك المشهد الذي تتكاثف فيه الأحداث لتثير الفزع في القارئ، مشهد الأب الذي يطارد غريغور المتحول لحشرة رامياً عليه التفاح. وقد بدأ الحدث أيضاً عادياً في محاولة لغريغور الخروج من الغرفة والتجول في البيت بعد أن أغمي على الأم التي رأته ملتصقاً بالجدار، ويمضي الحدث ليعرض حيرة وتأمل غريغور وخوفه على أمه ليدخل الأب شاحناً المشهد بالتوتر والقلق ويبدأ بقصف ابنه الحشرة بالتفاح عدة مرات إلى أن اصابه فتسمر منبطحا على أرضية الغرفة.[٢]

---

[١] فرانز كافكا، الانمساخ، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

[٢] فرانز كافكا، الانمساخ، مرجع سابق، ص٣٧١.

علاوة على ماسبق، فرواية (الانمساخ) تستثمر أجواء الكابوس من عدة زوايا نذكر منها:

- الشعور بالغموض وعدم الفهم، الذي يشيع غالباً في الكابوس الذي يراه النائم، ويتجسد في الرواية من خلال غريغور الذي يستغرب ردّات فعل الأسرة المتسمة بالقرف منه بعد تحوله ولا يفهمها، متذكراً معاناته في سبيل الاسرة سابقاً ومستغرباً أن الأسرة نسيت تلك المعاناة والإحسان السابق منه ولم تعد ترى إلا جسده الحشري وكأنه لم يكن فرداً من العائلة. كما أن انقطاع التواصل بينهما بسبب فقدانه صوته الادمي يكثف الشعور بعدم الفهم.
- المنطق العبثي حيث تبدو القوانين غير منطقية ولا تتبع تسلسلاً طبيعيًا. وهذا يشبه منطق الأحلام والكوابيس، حيث قد تبدو الأحداث غير مترابطة أو غير معقولة وهو ما يبرزه تحول الأب من شخص مريض طريح للفراش يستعمل العصا إلى شخص منتصب القامة في الرواية[١] وهو تحول غير مبرر ولا ممهد له. وكذلك مشهد تبديل الأخت للطعام المقدّم لكافكا لا يسبق بتفسيرات عن فهمها لحالته التي تحول فيها لحشرة تقتات على فضلات المائدة.
- أجواء العجز والشعور بالفخ :الكوابيس غالبًا ما تتسم بشعور مشابه بالفخ أو العجز عن الهروب من وضع مرعب. فغريغور بعد تحوله يشعر بثقل جسده الجديد الذي حبس فيه. ومشاهد النزول من السرير والانزواء تحت الغطاء حتى لا تراه أمه تنقل لنا شعوره بالعجز.

ويستثمر عبده خال أجواء الكابوس نفسها في بناء المشهد الكابوسي الذي يتنامى فيه الحدث من حدث عادي إلى آخر مرعب نتيجة تصاعد وتزاحم الأحداث الصغيرة التي تقود لكارثة. وهذا البناء شائع في رواياته ومنها رواية (الموت يمر من هنا) حين تحول مشهد انتظار أهالي قرية السوداء للمعونات الأجنبية داخل أسوار قلعة السوادي إلى مشهد كابوسي مختلط بعد أن داس أحد المجتمعين على

[١] فرانز كافكا، الانمساخ، مرجع سابق، ص ٣٧٠.

قدم امرأة فصرخت ثم انطلقت شائعة أن السوادي جمعهم لإعدامهم فابتدأ الهلع والتدافع بغرض الهرب وبدأت الأحداث الكابوسية.[١].

اما في رواية (الطين) فيمثله مشهد هبوب الرياح وأجواء الرعب التي رافقتها وأدت لانتشار الشائعات بظهور الأنبياء، والتكهنات بانتهاء الدنيا ليعلن الجميع بأن القيامة قامت ومع مزيج الهلع والاضطراب يسقط أحد أهالي القرية ميتًا وهو يردد مثل الجميع أن القيامة قامت[٢]. حيث ساهمت التحولات المفاجئة وغير المتوقعة في إشاعة جو شبيه بالكوابيس، حين تتغير الأحداث بشكل درامي ومفاجئ دون مقدمات، مما يزيد من الشعور بالفوضى وعدم السيطرة.

كما تنقل مشاهد معاناة أم البطل/ الشبح من زوجها أجواء العنف والمعاناة المستمرة حيث تتشابك المشاهد المليئة بالمعاناة الجسدية والنفسية مع تجربة شخصيات الرواية المحورية (الأب/ الأم/ الابن) إضافة الى الشخصيات الثانوية (عمر أبو دربين) وكأنها ساحة من التعذيب المستمر، ما يخلق جوًا خانقًا يشبه الكابوس. خاصة حينما جعل الكاتب نهاية هذه الأجواء صادمة ومفزعة. ونلمح ذلك في مشهد التقاء أب البطل بصديق عمره الذي انتهى بفاجعة، حين غدر به صديقه عمر ابو دربين بعد أن اتفق معه على خديعة أهالي القرية وإيهامهم بأنه أمير قادم من العاصمة ليتقاسم معه الحكم. فانقلب عليه صديقه واعتقله مُكمِّماً فاه فور أن دخل القرية، حائلاً بينه وبين إخبار الأهالي بحقيقته الخادعة. ويتنامى المشهد الشبيه بأجواء الكابوس الخانقة ليستغل عمر ابو دربين حقيقة أن صالحاً/ الأب منبوذ من أهالي القرية فيبتر لسانه في مشهد درامي كابوسي صادم. ويتنامى الحدث بغرابة مقلقة لتكون نهاية صالح القتل على يد زوجته وهي تصرخ: "لينته كل شيء.. لينته كل شيء"[٣].

إلا أننا في موازنة كل من كافكا وخال في بناء المشهد الكابوسي، نلحظ أن كافكا يبني كامل الرواية بأجواء ضاغطة تنقل الاحساس للقارئ بأنه يعيش داخل

---

[١] عبده خال، الموت يمر من هنا، مرجع سابق، ص٥٩.

[٢] عبده خال، الطين، مرجع سابق، ص٥٩.

[٣] عبده خال، الطين، مرجع سابق، ص٢٦٦.

كابوس. ويعزز هذا الاحساس الجو القلق والتوتر والغرابة التي تنقلها عدم منطقية الأحداث المتواترة في كل الرواية حتى نهايتها. بينما ينحصر عمل خال في توظيف أجواء الكابوس توظيفاً جزئياً داخل الرواية من خلال مشهد أو اثنين. ولربما حالت عدة عوامل في أسلوب خال بين بناء الرواية على هيئة كابوس منها طول روايات خال وتشعبها بتفاصيل مملة وإغراقها في الحياة الاجتماعية لا الحياة الداخلية للشخصيات.

**– سيكولوجية الشخصية وعلاقتها بالمكان الرمز في رواية (القلعة) ومحاكاتها في رواية (ترمي بشرر):**

يبدو تأثر عبده خال في رواية (ترمي بشرر) برواية (القلعة) لكافكا واضحاً من عدة نواح. حيث لجأ إلى تذويب أجزاء من بنية (القلعة) في نسيج روايته. لا سيما تشكيل الشخصيات وعلاقتها بالمكان ورمزية هذا المكان للدلالة على السلطة. علاوة على تشكيل العلاقات الانسانية، ودواخل البشر وطبيعتهم. حتى أن قارئ (ترمي بشرر) ليستطيع أن يجزم أن رواية كافكا تعدّ مرجعاً ثقافياً بارزاً يغذي مخيلة خال بطريقة واعية أو غير واعية.

ولعل عبده خال قد قام بمحو حدود النص الكافكاوي مضيفاً أسلوبه الخاص ورؤاه المجتمعية المحلية؛ لذا نجد أنفسنا أمام عملين متشابهين من ناحية الموضوع وهو تأثير السلطة الضاغط على البشر، وناحية رسم الشخصيات وعلاقاتها الانسانية بطريقة تعكس هذا التأثير. ويمكننا أن نعتبر ذلك نوعاً من التناص القصدي. والذي نظّرت له الكاتبة جوليا كريستيفا في وصف العلاقات التي تربط نصاً سابقاً بنص لاحق، باعتبار أن كل نص هو نص مفتوح يتفاعل ويتلاقح مع عدد من النصوص. سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو ضمنية بقصدية، أو من غير قصدية[١]. فالنص عبارة عن فسيفساء نصوص قادمة من سياقات شتى، بل هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى.[٢]

---

[١] للمزيد: جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧، ص ٧–٢٠.

[٢] انظر: نفسه، ص٥٥.

وعلى مستوى الفكرة، تدور أحداث رواية (القلعة) حول شخصية "ك."، وهو مساح أرض يصل إلى قرية غامضة في محاولة للعمل لدى سلطات القلعة التي تسيطر على القرية. وعلى امتداد أحداث الرواية، يحاول "ك." الوصول إلى القلعة والاتصال بالمسؤولين هناك لتأكيد وظيفته، ولكنه يواجه سلسلة من العقبات البيروقراطية والالتباسات. وتبرز القرية في الرواية محاطة بالغموض؛ فسكانها يظهرون خضوعًا غير مبرر للسلطة التي ترمز إليها القلعة. وتمضي الأحداث لتتعثر كل محاولات "ك." للاتصال بالمسؤولين؛ بسبب إجراءات بيروقراطية لا نهاية لها؛ مما يشعره بالعجز عن تحقيق أي تقدم حقيقي. وتتجلى في الرواية مشاعر الإحباط والعزلة واللاجدوى، حيث يجد "ك." نفسه في صراع دائم مع نظام بيروقراطي يبدو غير مكترث به وبحياته. والرواية غير مكتملة، ولكنها ترمز إلى صعوبة الوصول إلى هدف معين أو تحقيق الرغبات الشخصية في عالم مليء بالتعقيدات والغموض. فالقلعة تعكس الطبيعة البيروقراطية لسياسات العالم الحديث، كما تستكشف مواضيع السيطرة، والعلاقة المعقدة بين الفرد والنظام. وجاءت نهاية الرواية مفتوحة؛ لتزيد من غموضها، تاركة القارئ في حالة من التساؤل حول ما إذا كان "ك." سيتمكن من الوصول إلى القلعة أم لا.

أما رواية (ترمي بشرر) فتعكس موضوع الفساد وتأثيره على الفرد من زاوية اجتماعية، بطلها طارق وهو شاب فقير يسكن في حارة مجاورة لقصر لأحد الأغنياء _ معادل لقرية كافكا، ويحاول مثل غيره من شبان الحارة الدخول لجانب النعيم –والمقصود فيه القصر– ليتحقق حلمه أخيراً، ويعمل في القصر الفخم لرجل متنفّذ، يُشار إليه باسم "السيد الكبير". إلا أن وظيفة طارق تكشف له زيف النعيم الذي كان يتخيله، فهو مجرد أداة لإذلال خصوم السيد الكبير عبر الاعتداء عليهم جنسياً. الرواية تتناول مواضيع الظلم الاجتماعي، والتفاوت الطبقي، والفساد الأخلاقي، وكيف يمكن للإنسان أن يتحول تحت ضغط الحاجة. فطارق كان يعيش تناقضًا داخليًا؛ فهو من جهة مستفيد مادياً، ومن جهة أخرى يشعر بالعار والذنب لما يقوم به.

أما عن أوجه التشابه في بناء الروايتين نجد التالي:

- الأسلوب الرمزي واستخدام الرمز المكاني (القلعة / القصر) للدلالة على السلطة القاهرة وتأثيرها الخفي والظاهر على الغير.
- بطل رواية (القلعة) وكذلك رواية (ترمي بشرر) يتشابهون في رغبتهم الملحة للدخول إلى مكان السلطة بأي ثمن، رغم عدم معرفتهم بحقيقته. ويعجر البطلان بالانضمام لعالم السلطة، فعلى الرغم من أن بطل خال استطاع الدخول للقصر بعكس بطل كافكا إلا أنه لم يُصنِّف نفسه أبداً من ساكنيه. ولم يختلط عالمه بعالمهم، بل ظل بدرجة أدنى يستخدم لأغراض دنيئة رغم وجود حجرة له في طابق العاملين في القصر. كما تعكس علاقته بمرام رغبته الدفينة بمشاركة السيد الكبير أي شيء بعالمه.
- يتشابه البطلان في رفضهما للواقع فوقعوا في وضع (بين بين) في انتمائهم. حيث رفض (ك) عالم القرية ورغب بالانضمام بصفته موظفاً في القصر، فلم يتسلم عمله ويعش كغيره من أهالي القرية ولم ينتم إلى عالم القصر فظل معلقاً بين الرجاء واليأس حتى نهاية الرواية. وكذلك كان بطل خال يتهرب من ماضيه في حارة الحفرة ومن انتمائه السابق لها فقطع كل صلاته العائلية وهرب من عمته وأخيه، إلا أنه لم ينتم للعالم الذي هرب إليه منهم. وتعكس نهاية الرواية ندمه حين لاقى أخيه بعد غياب وأحس بوضاعته.
- تحديد الهوية عند أهالي القرية في رواية كافكا، وأهالي حارة الحفرة في رواية (ترمي بشرر) ارتبط بالقلعة أو القصر فالطرفين يجدون هويتهم في خدمتهم للقلعة / القصر.
- العلاقات التي تربط الأفراد داخل قلعة كافكا وقصر خال نفسها. حيث تمتهن النساء الدعارة لإرضاء أهل القلعة ( أولغا – فريدا) فذوو السمعة السيئة فقط هم من يُقبلون للعمل في القلعة أما الرجال فيحافظون على موقف الخضوع والاحترام، وكلا الموقفين يمثل حالة الاستلاب الكامل والخضوع المطلق للسلطة التي تشكلها القلعة. وفي رواية (ترمي بشرر) تبرز نفس العلاقات عند ساكني القصر والشخصيات النسائية الكثيرة

وأبرزها (مرام) سيئة السمعة. كما نجد الخضوع المطلق للرجال سواء لأداء مهام جنسية (البطل طارق) أو الموافقة على جميع الفضائع اللاإنسانية الممارسة دون تعليق.

وعلى الرغم من أوجه التشابه السابقة، فلا يغيب عنا اختلاف فلسفة الكاتبين فيهما، إذ على الرغم من تشابه موضوعها الأساس وهو السلطة، العزلة، الفساد. إلا أن رواية (القلعة) تعكس صراع الانسان الأزلي مع سلطة غير مرئية، غامضة ولا مبالية. وقد تكون هذه السلطة روحية علوية، أو ملموسة أرضية مع إبراز التعقيدات البيروقراطية التي تواجه الفرد في عالمه الحديث إذا أراد التحرر أو الفهم. وغموض كافكا ورمزيته أدى إلى انفتاح النص وتعدد تفسيراته. أما رواية خال، فتتبع من سياق اجتماعي محلِّي، وتعكس قضايا متعلقة بالتفاوت الطبقي، استغلال المحتاجين، والظلم الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية. حيث تركز على صراع الفقراء في مواجهة السلطة المستبدة المتمثلة في شخصية السيد الكبير.

**الخاتمة:**

حاولت هذه الدراسة إبراز تفاعل الأدب العربي ممثلاً في عبده خال مع الآداب العالمية في إطار إعادة صياغة التجربة والخبرات الإنسانية في سياق ثقافي مختلف، مما يعزز الحوار الأدبي عبر الثقافات والأزمنة.

وقد خلص البحث إلى تأثر عبده خال مثل العديد من الأدباء العرب المعاصرين، بالموضوعات المحورية التي عكسها أدب كافكا الذي يتميز بالعبثية والقلق الوجودي وأبرز تلك الموضوعات هي:

- العلاقة المتوترة بالأب: حيث انعكست لدى الكاتبين، ولكن بصورة مختلفة بتأثير السياق الثقافي والنشأة الذاتية التي مر بها كل منهما. يعكس كافكا في مؤلفاته دور الأب السلطوي القامع في تحطيم شخصية ابنه وتهميشه وتعزيز شعور فقد القيمة. أما خال فيبرز لنا صورة سلبية لغياب دور الأب في حياة الابن، وكلا الكاتبين يتفقان على الأثر المدمر للسلطة القامعة أو السلطة غير المباشرة التي يراها الابن على أمه من الأب في تدمير السلامة النفسية لأبنائهم وتحويلهم الى شخصيات مستلبة عاجزة.
- التعبير عن ضغط السلطة على الشخصيات: ويبرز تأثر خال بكافكا في التعبير عن تأثير السلطة من خلال عكس الحياة الداخلية لأبطاله. والاعتناء بالمنولوج الداخلي. مع استخدام الأسلوب الرمزي مع اختلاف مستوياته لدى الكاتبين. إذ أشتهر كافكا باستخدامه للرمزية لخلق عوالم خيالية تعكس الواقع بطريقة مشوهة، لأغراض فلسفية وجودية. وهذا التأثير يمكن أن يُرى في بعض أعمال عبده خال التي تستخدم الرمزية أحيانًا للتعبير عن حالات اجتماعية أو نفسية. وبينما يتناول كافكا مواضيع الاغتراب في عالم بيروقراطي مليء بالعبث، يعالج عبده خال مواضيع الصراع الطبقي والفقر. هناك تشابه في الطريقة التي يُظهر فيها كل منهما شعور الفرد بالضياع في مواجهة قوى أكبر منه، سواء كانت هذه القوى بيروقراطية كما في حالة كافكا أو اجتماعية واقتصادية كما في حالة خال.

- بينما يعتبر القلق الوجودي جزءًا أساسيًا من أعمال كافكا، فإن هذا القلق يظهر أيضًا في بعض أعمال خال، ولكن في سياق مختلف، حيث يرتبط بالظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية في العالم العربي.

وخلص البحث إلى تأثر خال بالطابع الكافكاوي في بناء الرواية. وأبرز نواحي هذا التأثر هو:

- خلق عوالم شبيهة بعوالم الواقعية السحرية. وعلى الرغم من أن فرانز كافكا لم يكن عاملاً مباشرًا من تأثر عبده خال بهذا التيار، إلا أنه يُعتبر مصدر إلهام غير مباشر خاصة في خلق العالم الداخلي للشخصيات الذي يجعلها عالقة بين الواقع والأوهام وهو ما تجسد في رواية (الطين).
- نلمح تأثر خال في بناء المشهد الكابوسي الذي تتوالى فيه التفاصيل الدقيقة المقلقة حتى تتحول إلى رعب مفزع. وقد وظف خال هذا المشهد جزئيا في سرده لا سيما الرواية. على عكس كافكا الذي حول أجواء الرواية كاملة إلى كابوس مما ينقل للقارئ احساساً بأنه يعيش محبوساً بشكل خانق داخل ذلك الكابوس/ الرواية. كما خلص البحث إلى تأثر خال الواضح بكافكا في صياغة روايته (ترمي بشرر) على مستوى بناء الشخصيات وتشكيلاتها السيكولوجية ورمزية المكان ودلالة هذا الرمز.
- على مستوى الأسلوب السردي، فيتميز فرانز كافكا بأسلوب يخلق جوًا من الغموض والقلق، مع استخدام السخرية والرمزية لإيصال أفكاره. وعادة ما تكون كتاباته مشحونة بالانفعالات والمشاعر التي تعكس معاناة الفرد في مواجهة قوى غير مرئية. أما عبده خال فيتميز بأسلوب واقعي يمزج بين السرد التقليدي والحديث، مع استخدام لغة شعرية غنية بالتفاصيل والتشبيهات. فخال يميل إلى التصوير الدقيق للحياة اليومية والمشاكل الاجتماعية بشكل يتيح للقارئ فهم الأبعاد العميقة لهذه القضايا.

**قائمة المراجع العربية:**


- ابراهيم وطفي، فرانز كافكا: الآثار الكاملة مع تفسيراتها، دار الكلمة ودار الحصاد، سورية–دمشق، المجلد الأول، ط٢، ٢٠٠٣.
- إبراهيم وطفي، فرانز كافكا: الآثار الكاملة مع تفسيراتها، دار الحصاد، دمشق المجلد الثاني، ط٢، ٢٠٠٤.
- ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، دار الكلمة ودار الحصاد، سورية–دمشق، المجلد الثالث، ط١، ٢٠١٠.
- تكنك إكرام، الحضور الكافكاوي في النقد العربي. مجلة الحوار الفكري، ١٣(١٦) ، ١٣–٤٠.
- جمال طالبي قره قشلاقي وأسماء علجية بوشايبالتي، دراسة أثر رواية المحاكمة لفرانس كافكا في رواية الغرف الأخرى لجبرا إبراهيم جبرا (مقاربة تحليلية في أوجه الاتفاق بين الروايتين)، مجلة اللغة العربية وآدابها، س ١٨، ع ٢، الصيف ٢٠٢٢ م.
- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧، ص ٧–٢٠.
- جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة للنشر، بغداد، د.ت.
- حسام الخطيب، سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، دمشق، مطابع الإدارة السياسية، ط٥ ، ١٩٩١.
- خالد اليوسف وخزيمة العطاس، دليل الكتاب والكاتبات، الجمعية العربية للثقافة والفنون، الرياض، ط٣، ١٩٩٥م، ص٩٥
- الدسوقي فهمي، الدودة الهائلة فرانس كافكا: الأعمال الكاملة، ترجمة: وتقديم الدسوقي فهمي، آفاق للترجمة– الهيئة العامة لقصور للثقافة، ط١، 1997.
- الرشيد بوشعير، أثر بروتلد بريخت في مسرح الشرق العربي، دمشق، دار الأهالي، ١٩٩٦م.

- رضوان ظاظا، الحلم والواقع عند فرانز كافكا وزكريا تامر، المعرفة، س ١٧ ، ع ٢٠٣، ١٩٧٩، ١٤٧ – ١٦٠ مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/362722
- روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: وتقديم: محمود الربيعي، دار غريب، مصر، ط١، ٢٠١٥، ص٦٠.
- روجر موشيلي، العقد النفسية، ترجمة: وجيه أسعد، دار البشائر للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٩٧م.
- روجيه غارودي، واقعية بلا ضفاف، ترجمة: حليم طوسون، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨، ص١٤٧–١٤٨.
- سامية عليوي حنون "من المنهج الموضوعاتي إلى منهج النقد الأسطوري في الدراسات المقارنة، اللغة العربية، ع ٢٤ ،٢٠١٠.
- سعد آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٦ م.
- سعد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٥.
- طامي السميري، الرواية السعودية حوارات واسئلة واشكالات، دار الكفاح للنشر، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٣٥.
- طه حسين، ألوان، مؤسسة هنداوي، وندسور، المملكة المتحدة، ٢٠١٣، ص٢٠٨.
- عبداتي بو شعاب، الكفكائية في السرد العربي المعاصر، مراجعة موضوعاتية لمجموعة القسوة تبدأ بسقوط تفاحة لحسن بولهويشات، المجلة العربية مداد، المؤسسة العربية للتربية والعلوم، مصر، المجلد ٦، العدد ١٩، أكتوبر ٢٠٢٢، ص ٤٨
- عبده خال، "ماركيز لم يدهشني لأن طقوس القرية فعلت ذلك قبله" تحرير خالد عويس، جريدة الزمان، العدد ١٢٧٥، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠٠٢م.

- عبده خال، أتركوني أكتب كما أشاء.. ولا تقرأوا لي، جريدة عكاظ، عدد الأحد ١١ أكتوبر ٢٠٢٠. من https://www.okaz.com.sa/culture/na/2044332
- عبده خال، الأوغاد يضحكون، دار الرّيس، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م ، ص١١٠.
- عبده خال، الأيام لا تخبئ أحداً، منشورات الجمل، المانيا، ط١، ٢٠٠٠، ص١٣٥.
- عبده خال، الطين، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣.
- عبده خال، الموت يمر من هنا، كولونيا، دار الجمل،٢٠٠٤ ، ص٣٣٣.
- عبده خال، إيمان الخطاف،" عبده خال: أحمل داخلي أكثر من ٦٠ شخصية والروائيون عالقون نفسياً"، جريدة الشرق الأوسط، ٢٤ يناير ٢٠١٨، من https://n9.cl/yglwp
- عبده خال، فسوق، بيروت، دار الساقي،٢٠٠٥، ص١٥
- عبده خال، لا أحد، الحضارة العربية، مصر، ط١، ١٩٩٠م.
- عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م.
- عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق، مرجع سابق، ص٢٠٢؛
- عبده عبود، هجرة النصوص– دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥م.
- غابرييل غارسيا ماركيز، مائة عام من العزلة، ترجمة: صالح علماني، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ط١ ٢٠٠٥. ص٢٨٩.
- فرانز كافكا، الانمساخ، ت ابراهيم وطفي، دار الحصاد للنشر، ٢٠١٤، ص ٥٥.
- فرانز كافكا، القلعة، ترجمة: ابراهيم وطفي، فرانز كافكا الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص ٥٦.

- فيليب راف، دراسات في الآداب الأجنبية: مدخل إلى كافكا، مجلة الآداب، ترجمة: ماهر البطوطي س١٣ ، ع ٤، ٣٧ – ٤١، ١٩٦٥ مسترجع من Record/com.mandumah.search//:http/٤١٩٨٩٠
- ماريوس فرنسوا غويار، الأدب المقارن، ترجمة: هنري زغيب، بيروت– باريس، منشورات عويدات، ط٢، ١٩٨٨م.
- محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية في الرواية العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٤م.
- محمد الباردي، المحاكمة في ثلاث روايات: دراسة مقارنة.فعاليات الندوة الدولية: الدرس المقارن وتحاور الآداب، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة" والجمعية التونسية للأدب المقارن "جمام"، ٢٠١٥، ٣٨٩ – ٤١٣ . مسترجع من 716173/Record/com.mandumah.search//:http، ص ٣٩٨.
- محمد الدوهو، كافكا والرواية العربية، مجلة الملتقى، ع ٤، مسترجع من 515643/Record/com.mandumah.search//:http ، ص١٣٤–١٣٥.
- محمد الهويمل، عبده خال، " عبده خال: رأيت بعيني حدأة تخطف طفلاً... هل هذا من الغرائبية؟ جريدة الرياض، العدد ١٢٥٠٠ السنة ٣٨، الاربعاء ٠٤ رجب ١٤٢٣.
- محمد ينال هذال الدوسري، عبده خال روائيًا، رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩.
- منصور البلوي، رواية "الإنمساخ" لفرانز كافكا وأثرها في الرواية السعودية: دراسة مقارنة. مجلة العلوم الإنسانية،ع ١٨ ، ٢٠٢٣: ١٥٩ – ١٧٢ . مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1390901

- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط٣، ٢٠٠٣م .
- ميلان كونديرا، رواية المحاكمة: الجميع مذنب، ترجمة: سعيد بوخليط، مجلة فكر، ع ١١ ، ٢٠١٥. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/823753
- نجم عبد الله كاظم، كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦ – العدد الأول والثاني ٢٠١٠.

**المراجع الأجنبية:**

- Bernheimer, Charles. *Flaubert and Kafka: Studies in Psychopoetic Structure.* New Haven and London, Yale University Press, 1982.
- Birch, D.(2009). Magic realism. In The Oxford Companion to English Literature: Oxford University Press. Retrieved 19 Apr. 2016, from http://www.oxfordreference.com.ezproxy1.library.usyd.edu.au/view/10.1093/acref/9780192806871.001.0001/acref-9780192806871-e-4765.
- **Emanuel Grec,"Franz Kafka's personal writings and their philosophical impact on his literature."، Sense and Sensibility: Topics in Intellectual History of Central and Eastern Europe, Winter Semester 2015-2016, Department of History, CEU.**
- Salma jayyusi, Modern Arabic Fiction an Anthology, Columbia University Press, New york, 1893.
- **Sander Gilman, *Franz Kafka: The Jewish Patient* (New York and London: Routledge, 1995), 1-3.**

***